

امال ورجاء



ليلة من الليالي السود وقد تعالت فيها لعلمة المدافع وأزيز الرصاص وتسلط الصواريخ فتقتل الأبرياء وتهدم الابنية ، والخوف الشديد يتفشى بالعظام فترتعد الفرائص وترتجف الركب مما تقوى على حمل الأرجل ، وقد غص الملجأ بالخائنين فتعالت الأصوات تجار بالدعاء الى الله سبحانه ليرفع هذا الغضب الذي اصاب لبنان .

وفي لحظة هدات الحال نوعا فمشى الفكر يستعرض الحياة كما عرفها على هذا الكوكب وما استقاه من بطون الكتب وما تراهى اليه من الأخبار وتناقلته اللسان فما تبين غير ظلمات وظلمات من فجر الإنسانية حتى يومنا هذا .

دباء تسفك وسيوف تلعب وحراب تشرع ومدافع تطلق وقنابل تلقى وانابية جشمة تفتح غاها لتبتلع ما حولها مما تشبع ولا تأخذها نخمة بل انها تسير وتسير فاعرة تسحبها تلتهم الأخضر واليابس وقد غرها الطبع والكتالِب وحب الرفعة فراحات تقتل وتستعفى وتأخذ ولا تعطي ، انها الانانية ومحبة المؤبد والجذ تدعوها الى الفتك والسبي والهنم ، فتتبعمت الانسان القوي نجع الجبوع وحشد الجند وقادهم الى الهلاك فكانت الخراطة الاولى التي سيطرت على العقول فأمنت بالزعامة وبدأت تقدم لها الخضوع وزعمت انه ابن الشمس ارسل ليهوس العالم بما يلي عليه طمعه وجشعه ، واتام من حوله زهرة يطلون له ويذمرن فاضمت البشرية للزعامة والقياسة والكهان ، تقدم لهم فلذات اكبادها مخرقة مضحية بسيلهم كل ما يرضيهم ويؤيد سلطتهم ويحفظ كيانهم ويوهون الناس انهم سيصلون بهم الى الطائفة والسعادة .

قادوا الجند الى ساحات القتال ودارت رحى الحرب بسين اقوام واقوام ، وتاهت مهالك وانتهزت مهالك بين سفك الدماء وخفق البود مهل سعدت البشرية وأطمأنت ؟ او ما زالت الحروب تنش والابغمة المولدة تخرع آلات الدمار والفتك والاجسام تتجندل ؟ مهل نالت البشرية راحة او توصلت الى السعادة المنشودة ؟

قالت الزعامات وتالفت الاحزاب وتجمعت الجبوع وارتفعت الرايات وانتشرت الشعارات واذيعت الخطب وكثرت الأقوال وعقدت المؤتمرات في سبيل السلام ، مهل حققت املا ؟

ولما يزل الانسان يسعى وراء الطائفة ويسأل عن مكان السعادة فما ظفر بشيء وكان ذلك كله قبض الريح ، وما زال الفلاسفة يحلون بالسعادة والمكثرون يبدون آراء ، فملا احلام الفلاسفة فسرت ولا آراء المفكرين انشرت ، والسعادة بعيدة وبعيدة نطلبها ولا نجدها ، نسعى اليها ولا نتبين تباشرها ، وكأنها كلمة جوفاء لا حقيقة لها ، ولما تزل البشرية جادة وراءها ولا بد لها من ان تغلظ بها يوما .

اعل القس بالامال ارقها
لا بد من يوم تلقى بهم الحروب وتحجب الدماء وتفسحل الانانية وتسود المحبة وبها نحل المشاكل . والنية الصالحة تنثر وتعطي وليس عند الله امر عسير . غمى يكون ذلك اليوم وانه لقريب يرتع فيه الابناء والاخفاء والحب رائدهم والحق هدنهم ونور القلوب بيد الظلمات .

عيسى ميخائيل سابا

جددت بحق من شباب الشعر العربي وحيويته ، ولكن
بغير خروج ، ولا روعة ، ولا مروق !

مطران .. داعية الوحدة

كان خليل مطران داعية متحمسا الى الوحدة ، وحده
العرب ، والشام شملهم في وطن واحد كبير حول لفهم
(العربية الشريفة) - هكذا دائما كان يدعوها - والتوكيد
المستمر بأن وطن كل عربي يمتد من المحيط الى الخليج .
ولكن كيف كان حال وطنه العربي آنذاك ، حتى نترك
اي (شجاعة) كانت تنسم بها مجاهرة (شعرية) كهذه
التغلمات الوحشية التي لا تكاد تخلو منها قصيدة مسن
تضالده ؟ .. كان مسقط رأسه لبنان ولاية عثمانية .. وكان
الحكم العثماني استبداديا طاغيا ، وكان الناس ساخطين
على ذلك الحكم يترسم به .. ولم يرق الوضع للشاعر
الفتى (وعمره وقتذاك لا يتجاوز الثامنة عشرة) فنظم
قصيدة حاسية يستنهش بها الهم ان نهب الغنم على
نير الاستبداد العثماني .. فكانت هي التي اثار الحاكمين
عليه ، وكانت هي السبب في اخراجه من لبنان .. وهكذا
كان سبب خروجه من لبنان : (قصيدة وطنية) !

بنى العرب هم مصر والمال ما نرى وبلى ملنا الخسف تاريخنا فمنا
وجنا بطوي الشعر والليل داسي ونحمل الاجفان والضم والظلم

كان هذا هو « اللون المختار » ! الذي اثر الطائر
الصغير ان يبدا نعيده به ، فلك على الرغم من نصيحة
ميكرا اسداهها اليك اليوه قال له فيها : « يا ولدي .. برضانا
اعليكم ، لا تملطوا هذه الصناعة ، لاننا ما وجدنا شاعرا
على حصة تميم » !

ومن شعره في تمجيد وطنه العربي ، وعربيته
الشريفة :

موطن الفساد شئ في مظاهرها وفي حقيقتها ليست سوى وطن
غمو يعادي التجزئة ، ولا يعترف بالحدود الرومية ، ولا
يرى الا الوحدة والاتحاد مسكلا منطلقا ، ومنهجنا للمرة
الحمية كريما :

بلانكم فاجعلوها نصب اعينكم وابدها على الاحداث تليدنا
ولا تضنوا عليها بانفسكم فان غير الهوى ما كان نوحيدا
.. ومن الباحثين من ذهب الى ان مطران كان اسبق
من شوقي الى البيت الذي قال (شوقي) فيه :

وطي لبو شفت بالخلد عنه تارعتني اليه في الظل نفسي

فان مطران - فيما يقال - هو الذي كان سببا الى
هذا المعنى في بيته القائل :

وطي لبو يعيننا غنك يوما بيع خلد التعم ، لم نشر خلدا
وفي اعترازه بقومه يقول :

اتنا لا نثيره غير اني بقومي اسعد الطالبين للعلم جدا

عاش مطران في مصر بين اخوة له .. سيما وخمسين
سنة .. محبوبا منهم محبا لهم ، يستجيب لدواعي



خليل مطران

خليل مطران داعية الوحدة - عاشق الضاد

يوليو ١٨٧٢ - يوليو ١٩٤٩

بقلم محمد الخضري عبد الحميد

اشتهر خليل مطران بلقب (شاعر القطرين) - اذ كان
شعره معبرا روحيا بين القطرين العربيين الشقيقين : مصر
ولبنان .. الا انه لم يلبث ان استحق عن جدارة لقب
شاعر (الاقطار) العربية .. بعد ان ملأت ترانيمه كل
افاق الوطن العربي الكبير .

ولد في « بعلبك » اقدم مدينة في العالم (!!) في يوليو
١٨٧٢ من دوحة تتفرع عن ارملة (الازد) الذين كانوا
يسكنون قديما ارض الين .. غلبا كانت كارثة (سد مأرب)
نزحوا الى الحجاز حيث نزلوا في تهامة ، عند نبع ماء سمي
بـ (غسان) .. ومنه اشتقت كلمة « الغساسنة » .

عاش حياته عربيا تحا ، لم تلل من لغزته العربية
الاصيلة مستحدثات الحضارات الخارجية .. وكان يؤمن
بان : (العربية - لغتنا الشريفة) هي لسان العروبة
وعنوانها .. فنذر عمره لاعلاء شأنها ، والتفني بجلالها
وسموها ، واجتهد - مخلصا - طول حياته في الحفاظ
على قدسيتها ، ولم يأل جهدا في اثرائها بما ابتدعه من
شعره من وصف قصص ، وصور عصرية جديدة زاهية ،

يزعم (مجددو هذه الأيام) انه ... تجديد !
اعلى انه يقضي على نظرية (الجمال في البيت الواحد)
بصرف النظر عن علاقة ذلك البيت (الجميل !!) بالقصيدة
بأجمعها ككل ، وما اذا كان ذا صلة وثيقة ببدايتها ونهايتها ،
او متعلوكة السلسلة بالاستهلال والخاتمة جميعا ! .. وفي
دراسة للدكتور سامي الدهان حول هذه التنتظة ان خليل
مطران قال انه : « لا ينظر الى جمال البيت المفرد ولو
انكر جاره ، وثبات اخاه ، ودابر المطلع ، وقطع المطع ،
وخالف الختام » .. غاراد بذلك ان يكون الجمال بجملة
القصيدة : « في تركيبها ، وترتيبها ، وناسق معانيها
وتوافقها ، مع دور التصور وغرابة الموضوع ، ومطابقة
كل ذلك للحقيقة وشغوفه عن الشعور الحر وتحري دقة
الوصف واستغفاله فيه على قدر » .. ولخليل مطران
(قصة شعرية) — فذلك اقرب وصف اليها — فهي قد
استغرقت ثباتي عشر صفحة متصلة لا انقطاع فيها ولا
عناوين بينها ، على بحر واحد ، وروي مختلف ، في ابيات
مخمسة ، جعل عنوانها : « الجنين الشهيد » .. قص
فيها قصة فتاة قروية بالسة تارحة .. دفعنها ظسروف
العيش الى ان تستجدي الاكل لتعول اسرتها .. فلما
نضجت انوثتها وكانت تعمل في حانة ، اوتعها غنى مستهتر
في فراكه باسم زواج مقبل ، حتى حملت منه سفاحا ..
فتركها وفر هاربا .. ولم تجد هي — ذرا للفضيحة —
الا ان تقتل الجنين ، ثم توضح العمل .. ولكن في طريق
آخر ، اكثر انحرافا ! .. في تلك القصيدة ، التي يبدو ان
الشاعر عجز احداها من كتب فخرت وجدانه المرفع هوا
عينا ، حتى مطران (وحدة القصيدة) في الشعر العربي ،
المعاصر ، كارتوع لما تكون الوحدة العنصرية الجاهلية في
الشعر ، عيني ومعنى .. حتى لقد وصفها صاحب مجلة
سركيس بانها : « الباذة الشعر الحاضر .. ومعلقة النهضة
الشعرية العمرية ! »

مطران .. شاعرا مجددا

بما الشعر ؟ ... يقول « الزهاوي » في تعريف
الشعر :
اذا الشعر لم يهزك عند سماعه فليس حريا ان يقال له شعر !
وشعر مطران توافرت فيه هذه الخاصية السحرية
التي (تهزك عند سماعه) ! .. فهو الشدو الرخيم
الصافي ، يصدر به لسان عربي ، نابعا من جملة فيها
خلاصة مركزه مبلورة لكل ما في الجيلة العربية من سجايا
اصيلة ، وخلال جميلة عريقة ..
اذن ... فما التجديد ؟
تعتقد انه يمكن القول — والقول من عندنا ! —
بانه : التجميل والانراء .. دون اخلال ، وبغير مروق !
ولئن كان مطران وصف شعره ، على ما عرف عنه
من تواضع ، فلم يستطع الا ان يفيه حقته ، فيقول انه :

الاحداث ، ويشارك في مقتضيات المتألمات .. وفي هذا
الخام ما اكثر ما قال عن مصر وثيها ، مما لا يكاد يدركه
حصر .. ويحبسنا في هذه المجالة المختنضة ايراد امانييل
سريعة يستدل منها على وفائه العميق الكبير ، لهذا الوطن
الكريم الطيب الحضيض :

مصر العزيزة ان جارت وان علفت مصر الحبيبة ان نرحل وان تتم
نحن الصيوف على ربح ومكرمة منها واتسا لعاطفون للشمس
جنا حماها وعشنا آمنين به نغمعين كان العيش في حلم
ويقول ايضا :

جنة الامصار بصر جبهسا ديسن واصبر
ويقول كذلك :

الجود في اهل مصر طبع انفسهم كالعرف في الورود ، او كالنور في الشهب
وما اكثر ما يقول .. وحتى عتقنا نقل كابوس
الاحتلال البغيض على صدر (مصره الحبيبة) لا يك يفتقد
الامل لحظة في انها لا بد ناهضة تنفض عن ثوبها الناصع
غبار ذلك الرزة المرير .. كما لم يك في هذا متورعا
كالمعادة وفي نفس ظروف (الجو) الذي اخرجته فيه من
لبنان قصيدة ! عن ان يجر دائها ، وفي اعلى صوت واوضح
بيان واكمل يقين :

ستعود مصر الى سني مقابها ونظير من خبت لها الايام !
وما اصدق القول البليغ : (قلب المؤمن .. قليله) !

عاشق الوحدة .. الوحدة في كل شيء

كان خليل مطران — كما اسلف القول — من عاشق
الوحدة ، والداعين بداب واصرار اليها .. عاشق لها ومن
اجلها .. وكانت حياته عينا « وحدة عريية » في جد
ذاتها .. فكل اقطار العرب وطنه الواحد .. وهو اذ يرى
وطنه الكبير عذا مقبسا بالحواجز النظرية والفواصل
الوهمية التي صنعتها المستعمر ، الماكر الدخيل ، يعز عليه
ان لا يجتمع شمل هاته الجئات المتشابهات .. فيظل يدعو
وينادي جاهرا بأمله في ان يرى هذه الرياس قد انتظتها
عقد واحد ، نجح سبلها ، تلقا ، ونفسا ، وادعا :

جنة عند جنة عند اخرى ، لو ظل حبلا في اتصال
وطن واحد سان نقل الا طان فالجمع فيه جمع اشتغال
ولقد ابلى بلاء حسنا في الدعوة الى (وحدة) اخرى
في اطار غال من اطرافة الساد ، وحدة شعرية .. غدا
الى (وحدة القصيدة) في الشعر .. وكان — وهو الشاعر
المجدد ، وثبات بين (تجديده) وتجديد آخر عجيب نسع
به هذه الايام ! — لم يسلم في زمانه من قوم يبدو انه لا مفر
من وجودهم في كل زمان ومكان ، عابوا عليه ما اتى به من
تجديد — فلم يملك الا ان تسال لاولاء مفتحا مردعا :
« يا هؤلاء !! .. نعم ، هذا شعر عصري ، وغرته انه
عصري ، وله على سابق الشعر مزية زمانه على سالف
الدهر » ! .. لكم كان مظلوما اذا قيس تجديده الرصين
الملتزم لتواعد الشعر الراسخة واصوله وتوافيه .. بما

« رغب الي جورج افندي ابليس ، صاحب الفرقة المعروفة (الآن) باسمه ، في ترجمة هذه القصة فترددت زمنا ثم اتيج لي ان رايته يمثل تجربة من « اوديب » فاعجبني انتقائه ، واتقان بعض اوائه ، فاستخرت الله في نقل عطيل الي لغتنا الشريفة . »

وهو عندما ينقل هذه الروائع الي (لغتنا الشريفة) لم يكن مجرد (مترجم حرفي) او ناقل .. وانما كان — كالعهد به — (مجددا) .. مؤثرا للجمال والفائدة .. وفي هذا رجعا الي مقارنة اخرى عقدها الاستاذ عبد الرحمن صدي .. بين ما كان يفعله بعض المترجمين ممن لم يكن يفهم التزام النص ، او على الاقل مسايرة (روحه) ! .. فذكر ان في (ماكبت) لشكسبير تظهر الساحرات في مسهل الفصل الاول يتواعدن للعرض بمكرهن وسحرهن للغائد (ماكبت) .. فاجرى خليل مطران على السنتين الحوار نثرا رقيقا جزلا كأنه الشعر نعومة ولطنا :

الساحرة الاولى : من ابن مجيئك يا اختي
الساحرة الثانية : كنت اقتل خنازير .
الساحرة الثالثة : ولنت يا اختي .

الساحرة الاولى : كانت امرأة ملاح . تحبل في حشنتها كسنته ، وتقمص .. تقمص تقمص .. فسالها شيئا منه فطردني قائلة : (اغربي يا ساحرة) ! .. ان زوجها قد سار الي (حلب) ليكون رباتا بدجلة .. ساركب القربال متقلعة اليه .. وساعيل سحري كما يعمل الغار نابه : قرضا .. قرضا .. قرضا ..

الساحرة الثانية : الطويل الطويل . مكبت يقترب ! فلنظنر الي ما فعله بترجمة المسرحية عنها مترجمان هما : « عبد الملك ابراهيم » ، واسكندر عبد الملك — عام ١٩٠٠ » — مما يصفه الاستاذ عبد الرحمن بانه : « انتقل فيه لا يطاق ، ولا يمت بسبب الي الاصل » .. فلفقد ضربا — سابعهما الله ! — بما اجراه شكسبير على السنة الساحرات عرض الاقفا .. وراحا يجريان — في ترجمتهما — على السنتين مثل هذا الـ ... الكلام ! :

هيكلت (كبيرة الساحرات) : « قلش قلش . ملش ملش ، بحق الله الواحد القهار ، اقسام عليكم يا مشعر الخدام والاعوان الكرام ، ان تنزلوا سن الحق الاعلى بالسكنة والوقار ، وتطردوا الخدام والساكين في هذا المكان هم وبقاتلهم واعوانهم واجناسهم ، وافشلوا حركاتهم حتى تنقش حاجتنا .. بحق طاش طروش ، توكلفهم يا روغانيل ، ويسا سمسمايل ، ويا جبرائيل ، ويا ميكائيل ، ويسا عديبايل » !

ولنا ان تصور مدى الجنائية التي تجنبها الترجمة بغير حص ولا ذوق ولا امانة ادبية .. ناهيك بركة الشاعر وغوصه الي اعماق النفس البشرية يستخلص من خصائصها وسلوكها انصب المعطيات التي تتم عنها وتوحي بها وفي

« مدام ذرغتها ، وزغرات صغنتها ، وقطع من الحياة بدحتها ثم نظمتها ، فتوهمت انني .. استمدتها » ! .. غيم بوصف : تجديده !

يصف هو نفسه تجديده ، في مقال بجلة « الهلال — اغسطس ١٩٤٩ » فيقول : « وتصب عينيه اللغة ، والاستمسك باللغة : .. وخلاصة مذهبي غيما اريده .. وهو لا يختص بالشعر ، بل يتناول ضروب البيان بل يشمل ضروب وسائل المعاشي بمعنى المعاشي الراعي للبلغ غاياته من جهة سمو الاخلاق وبدائع الطرف الحسية والمعنوية التي نستمتع بها فعلا ويتكرر بياننا ان لنا بها ادنى صلة .. خلاصة مذهبي انني ان تعلم ايها القاري لفنك اولا ، وان نتبين منها كل تفكير ، وان تستفكر منها كل ما في مفرداتها وتراكيبها واساليبها السلبية الفصحية من شائق ورائق ومطرب وجبيل ، وان نمثل هذه المادة تمثيلا ثم تحليها وهي مصورة الي معك الاسمي ، وهو ذهنك ، وتبتكر ، وتحدث سببا صحيحا كريبا لتكليفك الناس ان يقرأوا شعرك ونثرك .. والا فان لم تكن الا محاكيا .. فما حاجتهم اليك والسابتون افصح منك لسانا وابليغ بياننا واقدر على التصرف في لغتهم الطبيعية التي اخذوها بالرضاع » !

ذلك — اذن — هو التجديد ! .. بعد هذا يكون من اليسر ان ننظر في تفسير للدكتور نجيب مكدور في تجديد مطران :

« .. وتجديد مطران الشعري لا يقف عند التجديد في شكل القصيدة العام بتحقيق الوحدة العضوية لها ، بل يمتد هذا التجديد الي ديباجة الشعر ذاتها ، وموسيقاها ، فهو في الوصف مثلا يمكن القول بانه رائد ما نستطيع ان نسببه في شعرنا العربي الحديث (الوصف الوجداني) اي الوصف الذي يختلط فيه الشاعر بالطبيعة وينقل اليها احساسه والوان نفسه ، كما يتلقى عنها كل ما يواحي حالته النفسية الراحنة على نحو ما نحس في وجدانياته الوصفية » .. ثم جاء لنا الدكتور مندور — رحمه الله — بمثال « مطراني » على ما ساقه في هذا المعنى التفسيري :

شاك الي البحر اضطراب خواطري
يجرني برياحه الهوجاء
ناو على صخر اضم وليت لي
قلبا كهذي الصخرة الصماء
يندبها موج كبسوج مكافسي
وبهنا كماقسم في اعماصي
رايح خضار الجواب فاصل
كندا كندري سامية الابداس
نفسى البرية كندرة وكاتها
صعدت الي عيني من احشائي
والاصق بمنكر قريع جنبه
بنفسى على الجسرات والافاء

على ان للشاعر : تجديدا آخر ..

فهو قد اسهم بنصيب ملحوظ في امداد العربية بنثرات القرائح العالمية .. فعرّب اربعا من راتعات (شكسبير) الخوالد .. حفزه الي ذلك : « انتفال .. غانتاع » .. قال في كلمته التي صدر بها ترجمته لـ : « عطيل » :

يأس وأمل

ويح نفسي من افانين الامل
اسكب الاستحجان في شعر الغزل
ورأيت البدر نورا كاملا
رغم ان الضوء يسري هائلا
في حنين ويكاء مستمر
بعد حين ومضة لا تستقر
كل أمن رغم تنكيل الزمن
فوق آفاق البلايا والفنن
من عذاب وشقاء ولغوب
اي جدوى عند دنيانا الكدوب
واحال الكون عندي كالقمام
لم اجد الا ظلالا في ظلام
كحسام هارب من صائد
ثم آنا كالغزال الشارد
بين عهدين ظلام وضياء
لك عندي كل خير ولاء
سوف ننسى ما لقينا بن عناء
كي نلقي ما اقتنينا من ضياء
سوف نلقي عند موسيقى المياه
سوف نحيا بالاماني في الحياة
حيث نحيا في هدوء وابتناس
ونرى الدنيا على ضوء السلام
ونبت الليل في نوم عميق
بل حياة كلها حب رقيق

جيلة الغلايلي

لم ازل حيرى بوادي الظلمات
ادفن الاحزان في قبر الموت
قد سمعت الطير يشدو ويبن
وسمعت الليل يشكو في انين
قد سمعت الشاعر المسكين يشدو
ينظم الاشعار تدوي ثم تغدو
ليت شعري اي نفس ليس يرجو
يحفظ الله امرا قد راح يسهو
قد شجاني ما يعانيه الاناس
لهف نفسي اي خير في انتكاس
شغني الحزن الذي غش الورى
كلما جلت بعيني كسي ارى
امسة الامجاد حيرى كالطريد
نارة تخطو كما يخطو الوليد
ايهذا المهديا من تفصل
انت عندي تاج عز انبل
سوف ننسى ما
سوف ننسى ما اقتنينا من شمووس
سوف نرسو فوق شبط من رمال
سوف نحظى بشذى تلك الظلال
سوف نسو فوق اوهام البرايا
حيث ننحو من ملهات المذايا
سنظل العمر نشدو كالطيور
حيث لا وهم ولا قلب يشور

عين شمسي - مصر

أوليس هي التي قالت على لسانه ، أو قال هو على
لسانها :

وهل لغة قديما أو حديثا تعد بومرة الصنفيات بللى ؟!
بللى ! .. وإنها ، هي عينها ، عربيتنا الخالدة الشريفة ،
التي قالت على لسان مطران ، أو قال مطران على لسانها :
أنا العربية المشهود قضلي المسود اليوم والممسود قضلي
ولي القمران اعجاز تجلت حلاي بنوره اسنسى تجل
إذا ما القوم باللفة استغفروا فضاعتا .. ما مصر القوم ؟ قل لي !

محمد الخضري عبد الحميد

ملوي - مصر

ذات الوقت لا تنبو ولا تصف ، ولا تجمع بعيدا عما لا يمكن
ان يدور بخيلة المؤلف الذي هو « الشاعر » شكسبير !

لغتنا الشريفة ..

ولكنه احترام العربية ، لغتنا الشريفة كما وصفها
— بحق — خليل مطران .. يحذره الى ان يتهب — في
مرة تجديداته — ان يدخل عليها ما يشوه جمالها الفطري
الاصيل .. وما ذلك الا لانه عظيم الاكبار لها ، شديدا
الاعتزاز بها ..

عباس الخليلي

١٣١٤ - ١٣٩٢

١٨٩٦ - ١٩٧٢

بقلم عجاج نويهض

غرافينا ان تضع خطوطها عريضة لفترة الشباب الواعي من فترات المراحل في حياة عباس من ١٨٩٥ عما بعد ، وهذه الصور (واللوحات) هي التي ارتفع من افانويتها ، وهو معبر العقل شغافه ، ومتأزج عباس من بيئة النجف متأزج عربية اسلامية ، اذ كان الطلاب في النجف الاشراف ليسوا من النجف وكفى ، بل من سائر العراق والهند وايران حتى الصين ، فهذا الاحتكاك المدرسي وسع من أفاق عباس ، فلما وقعت الحرب العالمية الاولى كان في الثامنة عشرة ، وكانت يبايحه ، ما عدا المدرسية ، مجلات المقتطف والهلل والمنار والجامعة والمقتبس ، هذا وسنة ١٩٠٩ اضيفت مجلة العرفان في صيدا الى مكتبته ما يقرأ ويناقش فكريا وعلميا واجتماعيا .

لما اخذ العباس يشب عن الطوق ويترعرع في النجف الاشراف ، ويتطلع في الافاق ، كلفت هذه الافاق لا تزال تتردد فيها أهلت الاسى والاسف على غرق ثلاثة من العظماء ، هم مجلة عرش الدعوة الاسلامية والعربية ، نذكرهم حسب تواريخ وفياتهم :

١ - السيد جمال الدين الافغاني ، ت ١٨٩٧ في الاستانة .

٢ - السيد عبد الرحمن الكواكبي ، ت ١٩٠٢ في القاهرة .

٣ - تلميذ الافغاني الشيخ محمد عبده ، الاستاذ الامام ت ١٩٠٥ في الاسكندرية .

ومن غريب الاتفاقات في خفايا القدر ، ان علفت بوفاة السهيدين الافغاني والكواكبي شكوك لم يزل الباحثون يذكرونها الى اليوم ، وهي الغموض الشديد في سبب الوفاة . ولسنا هنا بمتعرضين لهذا . ولكننا نقول انه بعد وفاة الاستاذ الامام ثلاث سنين وقع الانقلاب العثماني ١٩٠٨ الذي كان ظاهره الدستور او « جمعية الاتحاد والترقي » وباطنه بؤرة الشرور او مكاييد جمعيات اليهود والصهيونيين في هدم الكيان العثماني للوصول الى فلسطين . وفي سنة ١٩١٤ وقعت الحرب العالمية ومن نتائجها احتلال البلاد العربية المنسوخة عن السلطنة العثمانية تحت اسم موه هو « الانتداب » المزيف .

اما في المملكة العثمانية فعلى الجبهة كانت الحال العمرانية والثقافية تقريبا واحدة ، ما عدا تميز بيروت بنهضة علمية ادبية صحافية تضاهي بها مصر . والحكم للسلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩) الذي ألفت فيه الكتب العديدة بجميع اللغات تصف حكمه وحياته الخاصة مدة ثلث قرن ، وهو الفرد المستبد . ولنلاحظ هذا : الى الحرب العالمية الاولى كان الوالي متى ما عين لبغداد او البصرة ، عليه ان يركب البحر من الاستانة الى مصر فيجئثر ترعة السويس ثم البحر الاحمر ، فيحر العرب ثم الخليج حتى يصل البصرة ثم بغداد . لبنان له نظام خاص يحكمه وال مسيحي كاثوليكي يرشحه « الباب العالي »

ذكرنا في الكلمة السابقة في العدد الماضي من « الاديب » (ديسمبر ١٩٧٧) ، ما يتعلق بنشأة الاستاذ جعفر الخليلي ، العلامة الاديب العربي المؤرخ ، ومن راندي القصة العصرية في العراق ، وقد وضع عنه الدكتور هامل ، العلامة الاميري ، الاطروحة بالانكليزية . وبسطنا الكلام في المقال الماضي عن هذه الاطروحة ومنزلة الخليلي في الادب العربي المعاصر . وترجم الاطروحة الى العربية رائدان في فن الترجمة ، فترجم الاستاذ وديع فلسطين قسما ، واكمل الباقي الدكتور صفاء خلوصي ، وقدم للترجمة امام من الامة الشمر والنثر ، شاعر الاهرام الاستاذ محمد عبد الغني حسن . واطروحة الدكتور هامل هذه تنتج نافذة بصري منها شعاع الادب العربي الى قراء الانكليزية ، وهذه خطوة حسنة مباركة في بابها .

ونتكلم اليوم عن عباس الخليلي اخي جعفر واكبر منه بنمائي سنين ، واذا كان الاستاذ جعفر ولد سنة ١٩٠٤ ، واخوه عباس غارق النجف الى طهران سنة ١٩١٨ فيكون الاستاذ جعفر عاش مع اخيه عباس ١٤ سنة في ظل والدهما الشيخ اسد الخليلي ، وهذه الشركة في النشأة توجب علينا ان نترجم لعباس ايضا ، وهو ركن من اركان الادبين العربي والفارسي وشاعر عالي الطراز في اللغتين الشيعيتين . وما ينطبق على احد الاخوان ينطبق على الآخر من حيث الاستقاء من معين والدهما الشيخ اسد علامة وقته ، وكان متقنا لعلوم العربية حافظا للشعر القديم الاصيل ، على ما اتينا على ذكره ، وخاصة مجالس الابداء والشعراء في النجف في الفصل الماضي .

ان قصة عباس الخليلي رائعة الطلوع ، والوقائع من الالف الى الباء . وقد عني بتتبعه ابوه عناية فائقة ، كما اخبرنا الاستاذ جعفر ، لان كان قد ولد للشيخ اسد اولاد قبل عباس ، فلم يعمشوا طويلا ، فلما ولد عباس نذروه للوطن لله وجعلوا يعمنون بتربيته ، فتكون نشأة عباس واطلانه على الافاق آخذتين بعض العقد الاخر من القرن الماضي ثم ما تتالي من العقود من هذا القرن .

سامي البارودي ، بشوتي وحافظ والمطران واسماعيل صبري . ومن سار في تاملتهم ، وازدهرت المطابع والكتليات والجامعات والمعاهد ، والصحف والكتب ، هذا ما عدا الأزهر الذي هو من سلسلة مصر الفقارية . وعلى الجبله صارت مصر موئل عروبة منذ انتهاء الحرب الأولى .

سنة ١٩٠٠ . انظر الى هذه المعالم المبرانية الاجنبية في مصر : غني عن سامي باشا البارودي لاشتراكه في ثورة عرابي . قدم ابو المكارم عبد الحسن الكاظمي مصر فاحتضنه الاستاذ الاهام برا وترحيبا . في هذه السنة وقعت المحاوره المسحفية العظيمة بين الاستاذ الاهام ومسيو هاتونو الوزير الفرنسي حول قابلية الاسلام للعلم . وفيها ايضا خطب الفيلسوف العربي امين الريحاني خطبته الشهيرة « الساسل الديني » في جمعية الشبان المارونيين في القاهرة . فاحدثت دوبا هائلا في الشرق العربي ومهدت الطريق للريحاني ليرتفع بشهرته في العالم العربي . كما بحث السيد رشيد رضا صاحب المنار في « الوحدة العربية » من زاوية فلسفية . فقال لو ان الاتراك اتبعوا نصيحة المسلمين سليم الحاروب ، كما فعلت شعوب اسلامية عديدة من قبل ، لكان للاسلام مصر غير مصر .

واذا وقفنا عند سنة ١٨٩٨ وجدنا زيارة الامبراطور ويلهلم غليوم الثاني للسلطان عبد الحميد في الاستانة ، ثم سجنه الى فلسطين فرسا يخته في حيفا واخذ يسير برا منتقلا في المستعمرات الألمانية حتى بلغ القدس واقام فيها اياما وزار القباية وبنت لحم ، واهداء السلطان قطعة ارض في القدس مقام قباية ملكية . ومن فلسطين جاء دمشق بطريق بيروت بالقطار العاصية الاموية استقبالا باهرا حتى انه لما جاء يشكر الهيئة الرسمية التي قامت باستقباله مما قاله : « ... ومن دمشق تقبّس اصول استقبالات الملوك » . وزار قبر صلاح الدين ووضع عليه اكليلا من البرونز (٤) واهدى صاحبه القبر تحية عسكرية . وكان الامبراطور غليوم في سياحته هذه وفي مواقف الخطابة والشكر اذا ذكر السلطان قال « والذي جالته السلطان عبد الحميد » وفي دمشق خطب واعلن صداقة ألمانيا للثلاثية مليون مسلم قرن صدى هذا التصريح في العالم . وفي الاستانة كان غليوم غاوش عبد الحميد بشأن فلسطين والصهيونيين ، حسب وعد منه لهرتزل في ألمانيا وتسل لهرتزل : « في القدس ربما اعطيك الجواب » . فجاء هرتزل القدس لأول مرة واستطاع ان ينلق جواب غليوم وهو ان السلطان يابى المشروع الصهيوني ، فجل هرتزل وخرج من فلسطين خائبا مذعورا ، وكانت تلك الزيارة بمنه

وتوافق عليه الدول ذات الامتيازات وهذا كان جاريا منذ ١٨٦٠ وبقي الى الحرب العالمية فلما دخلت الدولة الحرب الى جانب ألمانيا وجاءت لبنان الفت امتيازاته وجعلت نعين « المتصرف » تركيا الى يوم اتسحت في خريف ١٩١٨ .

اما مصر ، فلزواجها تحت الاحتلال البريطاني . كان التعليم فيها « دنلوبيا (١) » ، وبريطانيا تعنى بزراعة القطن لتغذية مصانع « لنكشر » . ويحكم مصر حاكمان : هذا حكما اسما سوريا ظاهريا ، وذلك حكما حقيقيا فعليا . الخديوي عباس حلمي الثاني (٢) (١٨٩٢ — ١٩١٤) واللورد كرومر (٣) . ولما وضعت الحرب الأولى اوزارها قام سعد زغلول بنهضة مصر هو وصحبه ببتنا سنة ١٩١٩ ونوفي سنة ١٩٢٧ فكانت ثورة مصر والثورة العراقية سنة ١٩٢٠ اول الانتفاضات في الشرق العربي بعد الحرب الأولى ، فاقطعت سعد من زعامة مصر مقعد القيادة والرياسة فاستيقظ العالم العربي على حركة سعد . استيقظ الهند على حركة غندي في الشرق . وانما اكتسب حزب سعد « حزب الوفد » عالميا لان الامة المصرية التفت الى سعد ، تبرم ما يبرم ، وتنقضى ما ينقضى ، وكل ممارسة لسعد كانت تقوم في مصر ، لا تلبث ان تنهار وتنتلش ، وجعلت مصر تكون رأس العالم العربي من قبل ظهور سعد ، فهي حاضرة عالم الضاد في العلم والادب وكل وجوه العمران . منازلها اعلى المنارات . كل عربي حر كان يلوذ بها يشرب من نيلها المذنب ويأكل من خيرها — من الشام والعراق وتونس ومالي الشمال الافريقي . كانت تزدان بالرعييل الاول من النساء ، بعد محدود

- (١) نسبة الى المسيطر المجهن على التعليم حسب برامج الاستعمارية واسمه يستر دنلوب لوصف هذا التعليم في مصر ينسبه اليه دنلوب .
- (٢) هو ابن توفيق بن اسماعيل بن ابراهيم بن محمد علي .
- (٣) لورد كرومر (حياته ١٨٤١ — ١٩١٧) حاكم وسياسي مشهور في العالم الاستعماري البريطاني ولا سيبا في توليه امور مصر بعد ثورة عرابي مدة ربع قرن تقريبا (١٨٨٢ — ١٩٠٧) ولعل هذه الامة من المذ شاول جدا في الحكم الاستعماري البريطاني . كان يجل الاستاذ الاهام الشيخ محمد عبده ويعتبر حركته الإصلاحية الاسلامية الاعتبار كله . والاستاذ الاهام لم تكن كل الوفاة صافية بينه وبين الخديوي . وكانت تقارير كرومر المصنوعة من الحكومات من سر الحكومة والادارة والمشروعات والمشاريع في مصر ترتقب ارتقابا لاهية ما يكره فيها من اعوجاجات . وكانت خاتمة حكمه سيئة ، فلما جاء يرسل اقام له رئيس وزراء مصر مصطفى باشا فمهي حفلة وداع وخطب فيها واتلى على اللورد . فلما قام اللورد يرد ، ففوه بكلام فيه اهانة للامة المصرية وكان السلطان حسين كابل حاضرا شاهدا يسمع ، فقال احمد شوقي ابو علي وقتئذ ، قبل اليوم بسبعين سنة ، قصيدة مؤنية ردا على كلام اللورد .

منها :

لما رحلت عن البلاد تشهدت
مكتسك الداء العياض رجلا
اوسفنا يسوع الوداع اهانة
ادب لعمرك لا يصيب مثلا

ومنها :

فارحلا يحفظه الله جل صنعه
يستغنيا ، ان شئت او معزولا
وكفا على هذا النمط وهي اكثر من ، بيتا . ومصطفى فمهي هو والد السيدة صفية زوجة الزعيم سعد زغلول .

- (٤) جرى هذا في دمشق سنة ١٨٩٨ وبعد عشرين سنة ولما دخل الانكليز والقوات العربية دمشق في خريف ١٩١٨ وفي ثالث ليلة تسال لورانس ومعهم نفر من الجند ، الى قبر صلاح الدين ونزع منه اكفل البرونز الذي وضعه الامبراطور غليوم ، وبعث به لورانس الى المتحف البريطاني . بعد هذا بعدة سنين سرق الانكليز ما سرقوا من نوت غنغ امون في مصر .

لفلسطين اول زيارة وآخر زيارة ومات بعد ست سنين . ولكن المفاوضات التي كانت في الاستانة بين السلطان و غليوم وانهرت ، هي امتياز مشروع سكة حديد برلين - بغداد عبر الاناضول وهذا حديثه طويل لا مجال له هنا . وكان غليوم لما وقف حيال قبر صلاح الدين يحميه ويذكر شيمائله الغراء في ملوك الارض وسلطانيتها ، سارع شوقي فقال من تصيدة اولها :

عظيم اناس من بيكي العظماء وينديم ولو كانوا عظماء

وسنة ١٩٠٤ الى ١٩٠٥ وقعت الحروب الروسية اليابانية فاهترت اسيا حتى الاعماق اذ لأول مرة تنصمر دولة شرقية حديثة الكيان على دولة غربية من اعظم دول اورپا ، وقال حافظ تصيدته المشهورة التي منها :

هكذا الحساد قد علفنا ان نرى الاوطان اما وابسا وقبل حرب الروس واليابان بظليل كانت حرب البوير في جنوب افريقيا بين الترانسفال واورانج الحرة معا ضد بريطانيا ، هزم البوير بريطانيا اولاً ثم لا انت بريطانيا بالامداد تغلبت على البوير واركتبت اشد الفظائع واستمرت هذه الحرب من ١٨٩٩ الى ١٩٠٢ وكلمة البوير من اصل هولندي معناها الفلاح او المزارع .

في سنة ١٩٠٨ كان قد انتهى انشاء سكة حديد الحجاز من دمشق الى المدينة المنورة (هـ) على امل ان تصل الى مكة فمعبر غاليلين وكان يوم افتتاح الخط في المدينة المنورة مهرجانا عظيما ، لم يزل اهل المدينة المعبرون يتكلمون حتى اليوم . وقيل هذا كانت سكة الحديد بين بيروت ودمشق وسكة الحديد بين يافا والقدس قد تقابلت على مسير . ولكن سكة حديد الحجاز قامت بها الدولة وتبينت انها ومن العالم الاسلامي وجعل الخط وقفا اسلاميا . واما الخطان الاخران فانشأتها شركات فرنسية للتجارة والاستغلال .

المجلات العربية والاسلامية : كانت في مصر المتكفل والهلال والمنازل والجامعة والمقتبس ، وسنة ١٩٠٩ انشئت العرفان في صيدا . هذه المجلات او معظمها كان يطالعها العباس في النصف الثاني لسنة ١٩١٤ واول تصيدة نظمت نشرت في العرفان تلك السنة . وكانت في بيروت مجلة « ثرات الفنون » تشغل حيزا كبيرا في العالم العربي وكانت في تلك السنة بلغت السنة السابعة والعشرين من عمرها . شوامخ المؤلفات في السنة الاولى من هذا القرن : ظهر ديوان شوقي (سنة ١٩٠٠) باسم « الشوقيات » واقترح عليه هذا الاسم صديقه الامير شكيب ارسلان . وظهرت الاياد لسليمان البستاني . وظهر الجزء الحادي عشر من دائرة معارف المعلم بطرس البستاني ، وضعه

(هـ) قال لي الملك عبدالله بن الحسين سنة ١٩٠٥ ان كان لشراقة مكة المكرمة ايد الطولي في تعرض القبائل الكبرى الى الحجاز على معارضة وصول السكة الحديدية الى مكة المكرمة بعد وصولها الى المدينة المنورة ، خرفا من نفط الترك على الحجاز كله في المستقبل .

واخرجه سليمان البستاني مع عدد من اقربائه آل البستاني . ولم يكمل اصدار باقي اجزاء هذه الموسوعة المفيدة ، فوقف السير بها عند حرف المعين بعده ناء واخر مادة « عثمانية » اي الدولة العثمانية . وظهر في هذه السنة ١٩٠٠ كتاب « المراءاة الجديدة » لفلسم امين .

بقيت ناحية جديدة بالذكر لما لها من عظيم الاثر في تاريخ الحركة القومية العربية ، وهي ان المربي الكبير الشيخ احمد عباس الازهري ، حول في بيروت مدرسته المسماة « بالدرسة العثمانية » وهي خارجية الى مدرسة داخلية وكتب لهذا المعهد ، بفضل هذا المربي المتشبه الصالح ، ان يكون مصمما للفكرة القومية العربية ، فخرج منه شباب بالمشراعات اصبحوا رجالات القضية العربية في الميادين السياسية والحربية ، وفي سنتي ١٩١٥ الى ١٩١٦ علق السفاح احمد جمال باشا التركي عددا وافرا منهم على الاعواد في بيروت ودمشق .

هذه الملامح والعالم والصور و « اللوحات » كانت تلوح للذهن عند استعراض الاحوال العامة من تطور في العمران سياسيا وثقافيا واجتماعيا في مصر والشام والعراق (والشام بمعناها وقتشذ تشمل سوريا الحالية والاردن وفلسطين) .

لما وقعت الحرب سنة ١٩١٤ كان عباس الخليلي في الثالثة عشرة ، فغى مليئا حيوية وطموحا ، وقوة ذهنية وافرة . فمقر اكتبين الاخيشان من عادة خروجه الى اقرباء له في القامية . واتن فنون الرياضة البدنية ، والعديد . وفتح المسافرات الطويلة ماشيا ، وحيانا ملأت الكيلومترات (١٢٠) من الجهة المغوية والعلمية والذهنية فقد كان حصل غاية ما يمكن تحصيله في مدارس النجب بالنسبة الى سنه . وصارت تجذب توافه العقيلة والفكرية المطالعات في المجلات التي ذكرناها ، والكتب الجديدة التي تظهر في القاهرة وبيروت ودمشق ، هذا كله فضلا عن مكتبة ابيه الشيخ اسد . فاصبح عباس في هذه السنة اشبه بقتيلة ، وكانها تصحج ببسد القابض عليها تنهيا للاتلاق .

وانتشرت فنلوي العلماء ، ونشرت اجزاء الدولة في البلاذ وكل شيء بات يدعو للجهد فاشتغلت الغرائم واشند النداء واثارت الحميات . وبرز السيد محمد سعيد الجبوري ، الشاعر المشهور وصاحب الديوان المأثور «بديوان الجبوري» يدعو الى حركة الجهاد وصار المستجيبون يتقدمون للتلوع ، فتقدم العباس وقيد اسمه في سجل المتطوعين المجاهدين فلما درت امه بهذا عارضته بشدة لكن بلا جدوى .

ولا نخرج على اخبار احتلال العراق تفصيلا ، بل نقول ، والدولة المتهبة للاحتلال بجيش ضخم تام حركة الحديثة من السلاح والذخيرة ، دخلت البلاذ ولم تكن حركة الدعوة الى الجهاد شيئا . غير ان تغلب الانكليز على العثمانيين ليس معناه ان التجف قد تخلى عن كراهته

اعصوبت وانقلب كالحلقة المفرغة لا تدري أين طرفاها ،
وانضم الى جموع الاهالي من لم يكن قد انضم من قبل .
واحكم الانتكيز ضرب الحصار بالاسلاك الشائكة
والجند المحيطة بالمدينة . قال الأستاذ جعفر : « فلم يبق
هناك من منفذ للاتصال بين النجف وخارجها ، فاقطع
الماء وانحصر شرب المياه من الآبار الملحة وما تساقط من
الامطار ، وشخت الحبوب وارتفعت الاسعار ارتفاعا حبل
بعض الادياء ان يؤرخ الحادثة بكتبتين « حصار وغلاء »
١٣٢٦ - ١٣١٨ .

كان عباس يشارك في نشاط الجمعية وفي القتال ،
ولكن الآن شلت الحركة كلها ، ولا يرتجى أي سند من
القبائل ، بقي لدى اهل النجف البسلاء اما المضي بالنورة
واما الاستمرار ، وهذا الآخر ان يكون ، وطال الحصار
٨٠ يوما ، واستبد الجوع والعطش بالناس ، ولكن الانتكيز
لم يضربوا المدينة بالدافع اذ لو اقدموا على هذا لهب العالم
الاسلامي صارخا محتجا .

وكان هناك معتقل مهم يسمى « بجبل الحويش » من
استطاع احتلاله فقد ظفر ، وكادت جماعات الثوار تتناوب
على حراسة هذا الجبل . فلما جاءت نوبة آل السيد
سلطان ، تخلوا عن الحراسة ، وقيل ان ذلك باتفاق مع
الانتكيز ، فاحتل الانتكيز هو المعتقل الذي هو مفتاح القلعة
وسلطوا عليه المدافع فاشتدت حلقة الحصار ضيقا .

قال الأستاذ جعفر ص ٩٥ : « وادرك الثوار ان
النورة قد فشلت ، فعم البعض بالخروج من النجف فالفوها
محملة بالاسلاك الشائكة ، ففتكروا ولجأ كل واحد منهم
الى مخبأ ليجنوا بنفسه ، وتولى آل السيد سلطان زعامة
المدينة بالقهر ، وراحوا يبحثون عن المعاملين المشتركين في
الثورة ، ومال اليهم عدد غير قليل ممن عمل في الثورة وكان
من المعتمد عليهم في الهيئة التنفيذية » .

وتقول للقاري الكريم في هذا الموطن :
ان التفاصيل بعد الآن غريبة ، ولكن بحكم الضرورة ،
وعلى لذة هذه التفاصيل لا بد من ايجازها لنصل الى نهاية
هذه الترجمة لعباسنا النبراس . فقد استطاع ان يختبئ
بسري امرأة في سرداب يخص احد الافرياء البعداء الذين
ليسوا موضع ظن او شبهة . وهل كان عباس في السرداب
حرا بالحرية ينتقل من زاوية الى زاوية ؟ كلا . بل كان
داخل صندوق خشبي من الصنابير التي كانت ترد الى
التجار من بلاد السويد . ونقلته والدته « أم عباس »
المتفانية في سبيل المحافظة عليه ، المحببة الى السرداب ،
وهو بزي امرأة محببة ايضا لتردي عباسين ولا يظهر منها
(او منه) للعين شيء .

وashed التدرن ان يكون ممسعا في اتخاذ التدابير
بسرعة ، فلو وقع تأخر ليلة واحدة لوقع عباس ، والتأخر
« فنى الاسلام » في قبضة الانتكيز ، كما وقع أحد عشر من
رفقائه ، وعلتهم الانتكيز على الاعواد . وما كانت تمضي

الحرقه للانتكيز . وبقي عباس ومن مائاه يحسبون ان
المضي بالدعوة لكراهة الانتكيز ، جهاد بنفسه . ففاوض
عباس استاذة الشيخ محمد عبد الجواد الجزائري ،
الاخصاصي باتقان الكراهة للانتكيز ، كما فاض استاذة
الاخر الشيخ محمد علي الدمشقي . ويمكننا ان نمثل ان
هذه المفاوضات كانت اول بذور الثورة في النجف .

فاتقن الثلاثة على تأليف جمعية سرية اسمها
« النهضة الاسلامية » وراوا ان يختاروا رئيسا لها السيد
محمد علي بحر العلوم وفيه الصفات الكيلة لهذا العمل .
وانتخب عباس سكرتيرا ، ولاتقنه الكتابة والانشاء اطلقوا
عليه « فنى الاسلام » . وحفر ختم من نحاس باسم
« النهضة الاسلامية » وحفر ختم آخر باسم « فنى
الاسلام » (٦) . ولكي يحكم الثغر فقد انفقوا على ان
يكون اجنباهم لا في مكان واحد بل في امكنة متفرقة .

ولكن السلطة البريطانية ، وكلها عيون واذان ،
استطاعت بعد حين ان تشتم رائحة الجمعية . فكان
حميد خان الهندي معاون الحاكم البريطاني مطيهم ودلولهم
الى الشرور والبني ، فجاء حميد هذا الى الشيخ اسد
ونصحه ، والمسألة لا تزال الى الآن روائح وظنوننا ، بان
يقصر عباس من نشاطه السياسي . هنا رأت الجمعية
ان لا بد من عمل شيء بالحيلة ، وهو ان تؤلف جمعية
ثانية من شيوخ القبائل وشيوخ النجف ، والجميع يكونون
معية مقادتها بيد « النهضة » . فتم هذا ، ولدت الجمعية
الثانية ، وصار عباس صلة الوصل والربط بين الجمعيتين .
هذا ، والغوات العشائية لا تزال في الترات الاعلى ومدنية
« عانة » تحارب الانتكيز ، واشتهر رجل اسمه عباس
ابن الحاج نجم البقال ، ينقل الرسائل مخاطرا بنفسه
وروحه ، واما ابوه الحاج نجم فعوض في النهضة . وانضم
الى الجمعية من شيوخ القبائل خارج النجف عدد وافر .

هل استوفي الاستعداد بالسلح لاستيقاد نار الثورة ؟
كلا . يبدى بالعمل قبل الاوان ، فقام الحاج نجم وبعض
الرجال معه باتحام سراي الحكومة في النجف وهم مئزون
بلباس شرطة ، فقتلوا الحاكم مارشال معتزين ظافرين .
في هذا الوقت كان الانتكيز (١٩١٨) قد تم لهم فتح
شمال العراق وانسحب العثمانيون من عانة وتلك الجهات ،
فغمر الانتكيز على طائفة من رسائل الجمعية فاسرموا
بتدركون الامر تداركا بين القبائل والقبائل التي وردت
اسنهاؤها في المكاتب من أي عمل ، وبهذا تمكن الانتكيز
من الحيلولة بين القبائل والاشترك في الثورة ، فامست
المناطق المحيطة بالنجف مقيدة لا تستطيع حراكا ، ورما
عبد الثورة على النجف وحدها ولكن كانت النجف قد

(٦) يقول الأستاذ جعفر ان التيب العراقي المعروف الأستاذ
عشور الاسدي يفتحه بعين الضنين الى اليوم . وتقول ان هذين الختمين
هما الآن احدى من اثنى الكلاي والجواهر القادرة ، للزعم الشريف الذي
يرمزان اليه .

ولم يقبض عليه سوى عباس ابن الشيخ اسد الخليلي في مدينة النجف .

مطلعت السلطة اعلاّت فوق بارز الجدران وعلى ابواب « الصحن الشريف » وابواب المساجد ، تنذر بالويل كل من يعرف شيئا عن عباس الخليلي ولا يخبر السلطة . وفي الوقت نفسه فتحت السلطة باب الإغراء غاغت جائزة خمسة آلاف روبية لمن يدل عليه . وخشي تومان ان يفسده سيؤدي الى القبض عليه هو نفسه ، ولما ايقن ان عباس ليس مخبئا في بيت ابيه ، جاء بيت الشيخ اسد وجلس ما في البيت من اوراق ودفاتر كيفما اتفق ووضع هذا في خزانة وختنها بالشمع الاحمر ، وانذر الا يمسها احد لان السلطة غدا ستفحص هذه الاوراق . والساعة الآن الثالثة بعد منتصف الليل .

وكان الشيخ اسد سال عباس ايام العمل قبل الشدائد : اني هذه الاوراق يا ابني شيء يخاف عليه او منه ؟ غنني عباس ان يكون في الاوراق ما يخشى منه . وفي هذه اللحظة وقعت المفاجأة المذهلة من عباس ، فانه ما كان يتأكد من خروج تومان من البيت يائسا ، حتى خرج هو من السرداب الذي كان فيه واتى البيت مسرعا وجلس هذه الاوراق التي في الخزانة والقها في النار . فصاح به ابوه ، قائلا انت صانع يا عباس ؟ فقال : اذا وقعت هذه الوثائق بيد السلطة فسيفشى على مئات الناس ، وانا مصمم غدا على تسليم نفسي ، فصاحت به امه تستجد برب العالمين الا ينوي هذه التهمة ، وعارضا الجميع ، وبعد هذا رجع عباس الى سردابه لا يتحرك ويعاني ضيق النفس في المصنوق . وبسبب هزوع الفكر والعقل ، وتخطب مشاريعه بعضها ببعض ، وهو رغم ما سمع من صباح امه لا يرى مناسا من التسليم ، ولكن لا تسليم للتسليم فوطد عزمه ، وربط جانشه ، على ان يقتل « تومانا » بهذه البندقية المخبأة معه في المصنوق .

جاء النهار وبلغت الشمس الضحى ، ولا سلطة بانت ولا احد . وبينما الكل في الشدة الخائفة ، والارتباك المضني المحرق ، فإذا بعمس العباس يجيء هابا هبوب العاصفة يقول البشري !! البشري !! السلطة قبضت على « تومان عدوه » لئلا لا وجنته عاجزا عن الوفاء بتمعهده لها بالقبض عليه . ومن الفرح بكت ام عباس ، وابو عباس ، والجميع ، وتنفسوا السعداء ، ولكن الخطر لا يزال قائما . ربنا اثم علينا بالفرج والخير .

اما الذين قبض عليهم وهم (١٤) شخصا من النوار فقد حكم عليهم بالاعدام ونفذ الحكم في (١١) منهم . وبندخل الشيخ خرم خان امير المحصرة فقد نجا السيد محمد علي بحر العلوم رئيس جمعية « النهضة الاسلامية » ونائبه الشيخ محمد جواد الجزائري . اما العباس فحكم عليه بالاعدام غيبيا . ونفي (١٠٥) اشخاص من اعضاء الجمعية والعاملين فيها الى مدينة سمرقور في الهند .

الليلة الثانية على استسلام النجف حتى داهم المنازل والبيوت جلاوزة السيد مهدي السيد سليمان وهو يشرف على الحركة . وكان هناك رجل اسمه « تومان عدوه » وكان ممن اشد المخلصين لعباس ايام عز « النهضة الاسلامية » ، ثارا مثله مقداما ، والآن في رمشة عين انقلب عليه وهو واقف على كل اموره . وتعمد للانكيز بالقبض عليه . هذا من غير الدهر . جاء في « هكذا عرفتهم » ص ١٨ ان تومان هذا ، كان يعرف الانكيز اتسه من المشركين في الثورة ، ولكنهم راوا ان يتفاوضا عنه موقتا لينبعت بكل نشاطه للقبض على عباس وهو آمن لهم حتى اذا فشل اقتادوه وعلقوه ، وحتى لو نجح فلا مفر له من المشقة ، وحسابه في الحياة لعباس كان حساب جاهل .

فجاء الجلاوزة دار الشيخ اسد ليلا بغتة وبشراسة ، واقتحمت الدار فلتاقهم الشيخ اسد والفاسق بيده ، فسالوه عن عباس فانكر ان يكون له علم بمكانه ، وزاد ان عباس لا يسكن اهله في البيت منذ سنين ، ولا يمر بهم مروراً . ومع هذا فقد نزل فريق من الجلاوزة الى السرداب وفتشوه فلم يعثروا على ضالته الممشودة . والآن الساعة العاشرة ليلا . وبعد ساعتين او ثلاث من الليلة نفسها عاد هؤلاء الزبانية يسلمون مسلح بيت الشيخ اسد من الدور الجاوزة ويهبطون من السلم ويطرقون الابواب ترويعا ، وعباس هناك في المكان الآخر ، في المصنوق الخشبي في سرداب بعيد من هنا في بيت بهجور . ولكنه اخذ يشعر بضيق التنفس ، وهذا مما لا يطيقه الا الصابرون المؤمنون .

ولكي يقطع الشيخ اسد ، اولئك الزبانية بدعواه . بعد ان طافوا البيت مرارا ، قال لهم : « اني لست راضيا عن ابني ، وقد بينت هذا لحيد خان منذ مدة طويلة ، واني مستعد ان اذهب واذكره بهذا » .

وفي النهار تجددت حملات التنقيش عن عباس لان المعلومات التي لدى الانكيز انه لم يبرح النجف . وفي النجف آبار السرداب عميقة مظلمة تبلغ خمسين مترا فانكر . وكان عباس كما سبق القول قوي البنية خفيف الحركة فظن تومان لعل عباس يخبئه في قعر السرداب ، اذ يعلمه من امر عباس انه يطيع من العذاب ما لا يطيقه غيره ، لثبات نفسه وشدة ايمانه ، فقال للشيخ اسد : قولوا لي اين هو والا نطلق الرصاص الى قعر السرداب فيقتل قتلا . وجربوا ان ياتوا « بنزالين » اهل مهنة ، يهبطون الى القعر فهبطوا وعادوا وقالوا لم نجد شيئا . وكان الجلاوزة يكررون عملية هذا التنقيش كل يوم ، وعباس حيث هو كاد يفتنق من ضيق التنفس .

في هذه الاثناء كانت شرطة السيد سلمان قد تمكنت من القبض على جميع زعماء الثورة ، واستخرجتهم من مكائهم واحدا بعد آخر ولم يبق متواريا لم يبتد الى مكته

قال الأستاذ جعفر ص ١١١ « روى الأستاذ إبراهيم الوائلي ان عباس الخليلي كان اول شاعر ورد ذكره فلسطين عند بعلقور في شعره . ولم يطل به المقام في طهران ، عاصمة الادب والعلم والثقافة والتفني بالثرات حتى اقتعد هناك بمقد الاديب الصدر الماهر الرائد في الفئتين الشيعيتين ثم بعد ذلك انتى الانكليزية والتم بالالمانية وقد قال لسي — يقول الاستاذ الوائلي للاستاذ جعفر — الدكتور مصطفى جواد انه قلبا رأى عالما باللغة العربية محيطا بمفرداتها كالخليلي عباس » .

ومن الآن الى نهاية ترجمته نضعه في « لوحات » : — كان معارضا لسياسة الحكومة في طهران دائما ، فاوذى كثيرا ونفى ويدخل السجون مرات . ومضى مغلتي صحبته لجا الى صديق بيده رخصة جريدة لم تستثمر بعد فيصدر جريدة جديدة .

— كان دائما مساندا للمصلح الحكيم ، رجل الامة والدولة والاسلام ، السيد ضياء الدين الطباطبائي من رجالات الشرق وامذاذ زملائه ، رجل العقل والفهم والانسانية الراقية (٧) .

— تأمر القاتلون على قتله هو و « عشتي » الشهيدي الشتر . اما عشتي فلما جاءه الجناة واطلقوا عليه النار خرج لى ما هناك لمعطوه بالرصاص فهوى صريحا . واما العباس فلم يكن في البيت فانتظروه حتى اتى غاطقوا عليهم النار فخطفوا فادخلهم النار فاصاب احدهم في كتفه ومطاره كفى فينبيل عليه وسلمه الى الشرطة . وكانت السلطة وراء المؤامرة .

— صدر ان شهر امير في الادب والسياسة والنضال الوطني معمر جريدة « اقدام » وعاشت اربعين سنة وهي في المعارضة العنيفة . ومن مميزات فضله انه يعمل في جملة ميادين معا : الصحافة والسبيلة والادب والشعر والتاليف ، مجموع كتبه بلغ ٨٦ كتابا ورسالة .

— وكان منزل العباس في طهران منزل الضيافة ومقتد الوائنين من ارجاء العالم الاسلامي والعربي ، وكان صفيحة الحميم عبد العزيز الشعالبي زعيم توش كليا جاء ايران حل ضيفا في منزله הרحب الساحة القائم على الجود والكرم والسباحة .

— وضعت مجلة « المتحفظ » مسابقتها سبها « الرائد » وهي شعربة دعت فيها شعراء العالم العربي ان يرتادوا القطب اريتادا خياليا ويمسوا المشاهد المتحيلة وصفا علميا ما امكن ، فحريت قصيدة العباس احدى الجوائز . ولكنه ابى ان يقبل الجائزة القندية ، وكان اصحاب « المتحفظ » اصعداه مقدم اليه الدكتور صروف

(٧) لا نولي عليه رحمت الله عنه سنين نشرت في جريدة « الحياة » الهرونية صلا في وصف عقربته وعينه في فلسطين منذ كان الابن العام للوزير الاسلامي العالي سنة ١٩٢١ — ٢٢ الى سني الحرب الثانية الكبرى وهو اكبر صديق للعرب فلسطين والمجدد الاقصى .

بعد تعليق من علق ونفى من نفي ، اخفت حلات التفتيش نخف ، اذ لم يبق احد له من اثر بلز في الثورة الا قبض عليه ولقي الشدائد . سمح للاهالي ان يخرجوا الى الكوفة ليستجوا بعد هذا المذاب والحصار والجوع ، ولكن الخروج لا يسمح به الا لمن يحمل رخصة (پاس) او ورقة مرور من باب المدينة للتفتيش . ولما كان الشيخ اسد لم يزل يتظاهر بالصداقة بينه وبين حميد خان فذهب اليه طالبا رخصتين واحدة باسم زوجته ام عباس وواحدة باسم ابنته والحجاب وتنتد بتأليده يجعل المراءة بهذا الحجاب لا يرى منها حتى اصابعها . ولعل القارئ السيب وثب يادراك شعوره ليقول ، وما تلك الرخصة الثانية واه اعلم الا لعباس لا لاخته ، لعباس الباقي في ذلك البيت الاخر كماثم فيه . فالخروج الى الكوفة فرج كبير من الله اذ بعد الكوفة يرى سبيله الى طهران .

ونحن في متابعة العباس الى هذا الحد في ثورة النخف نقصد به عدة امور : اولا ، لتبين مقدار مساهمة العباس « فتي الاسلام » في الثورة وبكمية نجاته . ثانيا . بخروجه من الجف محروسا من الله الى طهران كان ينتقل بقضاء الله وقدره الى ما هو مكتوب له من الحياة الحاملة بكل انتاج عبقرى . ثالثا ، ان تبين هذه المراحل له في حياته المستأنفة « لفتى الاسلام » في طهران مع الاشارة الى منجزاته في الادبين العربي والفارسي ، وهذا شيء بالغ العظمة .

وقصة العباس في الخروج من الكوفة الى الكوفة بري سيدة مع والدته ام عباس ، ثم الى ايران ، كآل قطعة من عذاب ، ولكننا نكتفي من تفصيل الترفيع بهذا المقدار ، ومن احب الوقوف على التفصيل كله ، فعليه بالجزء الرابع من سلسلة « هكذا عرفتهم » الصادر سنة ١٩٧٢ للاستاذ جعفر فمنه استقينا هذه الحلقات كلها ، وقد نكرنا اهمية هذه السلسلة في كليتنا الماضية ، داعين للورخ العلامة ابي فريدة جعفر بطول المعر نفع الله الامة بمخزون علمه ومخير ابيه . نحن الان لم نزل في سنة ١٩١٨ .

لما وقعت ثورة العراق الكبرى ١٩٢٠ كان العباس في الرابعة والعشرين وامسى اليوم في طهران لا في النخف . ولما درى الانكليز بفراره طار صوابهم . كيف نحا من حروم الشبك ؟ وكيف ومضى خرج من النخف . ها هو اليوم في طهران يفرد ويصدق ويعتدل ويرسل قصائده الى اخوانه الثوار في العراق ، تحيات واشواتا وهذه واحدة من تلك التحيات :

بجيك امحل العراق على التوى
فى في سبيل المجد ايسى مقردا
نخبة عان كلبا هبت الصبا
بنوح كما نأح الضام مقردا
ان اليوم اطلقت اللسان بجيككم
بلايس عنكم قد سلت المهدا
عواطف لا تنفك نغاسي يمهتي
الى ان ارى موق الصعد بوسدا
ومنها :

رويدا ورجال الانكليز وراسمة
ان اليوم اسرفتم فان لنا ندا
وان قصرت اقدافنا عن خطاكم
مدنا الى ما فوق هابكم بدا

مجموعة « المختطف » كاملة ونشرت القصيدة في عالم الصاد وهي لا تقل عن سبعين بيتا وكل معانيها المبكرة تصور رائدا جوييا عربيا يقوم برحلة استكشاف قطبي .

— ترجم من الشاهنامه للفردوسي ١٥ ألف بيت الى الشعر العربي ، وكان للعلامة الدكتور عبد الوهاب عزام المستوفد لحيته في هذا العمل وهنا علينا ان نوضح ارتباط عدة اشياء مهمة بعضها ببعض فنقول :

اولا — الفردوسي ابو القاسم والشاهنامه : الشاهنامه ، وكلها أو معظمها - شعر ملاحم الامة الفارسية ، تكلت عن تاريخ الفرس من اقدم ايامهم الى الفتح الاسلامي ، حقائق واساطير ووصف محتلة - مكانتها عند اخواننا اهل ايران عظيمة - كالبلياذة عند الاغريق ، وهي تنطوي على صور اجسامية عديدة الألوان ، واكثر عنابة الفردوسي بالدولة السلطانية الأخيرة ، عنابة فائقة ربما لان اخبارها اكثر تيسرا والدولة السلطانية هي التي يعبر عنها مؤرخو العرب « بملوك الطوائف » ، وكان آخر ملوكها خسرو - توفي الفردوسي سنة ٤١١ هـ وعلى قول ٤١٦ { وتقع الشاهنامه في (٦٠) ألف بيت كما يقال ، وانفق الفردوسي ثلاثين سنة في جمعها ونظمها وتاليفها - وقدمها الى يمين الدولة السلطان محمود بن شمس الدين الغزنوي على امل ان ينال عليها جائزة عظيمة فلم يكتف امله ولم نستطع الوقوف على السبب - وذاعت الشاهنامه في الاداب العالمية .

ثانيا - النسخ من علي البنداري : « بصلي الله عليه وسلم » في اصلها ولقبه قوام الدين وهو مؤرخ عربي - صنف ولخص عدة كتب لعلماء الدين في تاريخ السلجوقية ، وترجم الشاهنامه الى العربية نثرا وقدمها الى الملك العظيم الابوي المتوفى ٦٢٤ هـ فاجازه عليها . وبعد هجوم التتار وهلاكو ونيمورلنك وذهب المختبات احراما واغراثا ، غابت هذه الترجمة غيبا طويلا حتى ظهرت في الاوقات الحديثة ، والبنداري نفسه لم يعرج عليه كثيرا اهل الترجمة وليس له ذكر في دائرة معارف البستاني المعلم بطرس مثلا .

ثالثا — الدكتور عبد الوهاب عزام والشاهنامه المترجمة نثرا : كان الدكتور عبد الوهاب عزام الرائد العلامة مشغول منذ اول شبابه بان يترجم ترجمة البنداري ، ورمى بامه الى ان يترجم الشاهنامه شعرا يوما ما ، وراح يدرس التركية والفارسية من اجل هذه الغاية . ولكن الانتدار هدته بالتالي بعد الاستقصاء والفتيش الى ان يثمر عليها في برلين والاشنة ولندن وحتى في دار الكتب المصرية في القاهرة . فمماذا صنع الدكتور عزام بشروعه : انه جمع معظم النسخ واختر اصحها ، وقارن وقابل وطبع الشاهنامه نثرا (ترجمة البنداري) في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة طبعا فائق الاتقة والرسوم والحواشي ووسم صفحة الومسة هكذا :

« الشاهنامه . نظمها بالفارسية ابو القاسم الفردوسي

وبرحبها نثرا الفتح بن علي البنداري وقارنها بالاصل الفارسي واكمل ترجمتها في مواضع وصححها وعلق عليها وقدم لها الدكتور عبد الوهاب عزام الخرس بالجامعة المصرية . سنة ١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م وهي اربعة اقسام في مجلد واحد كبير ضخ ٢٧ x ٢٠ سم .

رابعا : فلما توفقت الصلة العلمية الاديبة الاخوية بين الدكتور عزام والعلامة العباس الخليلي . وى قلت عزام غرام بالشاهنامه وشوق اليها ، ووجد في صفيه العباس حامي حقيقتها وابن بجنيتها ، طلب منه ان يرد مورد الشاهنامه شعرا ، فورد العباس نعم الورد وصدر بخمسة عشر الف بيت اي ربع الشاهنامه شعرا عربيا ، نرجو ان يكون باقيا محفوظا عند انجاله في طهران . ونطرح هذا الاصل او الامنية على حملة عروش الثقافتين العربية والايرانية ، بان يطبع ما ترجمه العباس من هذا الشعر ،

— « الخيام » اول من ترجم من رباعياته الى العربية شعرا الشاعر اللبناني الفلسطيني وبيع البستاني وذلك سنة ١٩١٢ ثم انبرى الفضلاء من اخواننا اهل الادب في مصر والعراق فترجموا « الخيام » شعرا ونثرا وهذا كله بايدي الناس ، سوق عكاظ الانواق . اما الفردوسي فلم يترجم من شعره الفارسي الى الشعر العربي سوى العلامة عباس الخليلي صاحب هذه الترجمة . فاذا نيسر تحقيق هذه الامنية ، فيكون نشرها من شعر العباس نثرا لارقي نوع كتب الشعر العربي للفردوسي .

— « الخيام » الى ما تقدم ، فقد ترجم العباس حصصا واكثر من شعر سمدي الشيرازي ، وحافظ ، والمتنوي ، الى العربية (راجع هكذا عرفهم) .

— وقام العباس بترجمة « الكابل » لابن الاثير الى الفارسية في ١٤ جزءا وعرج على الكتب الاسلامية الحديثة فترجم الى الفارسية للعلامة احمد امين « فجر الاسلام » و « ضحى الاسلام » و « نهر الاسلام » .

— ولنسبح هذه الطرفة المتطلعة باحدى كتب عباس الروائية : فقد كان له كتب عديدة بالفارسية منها كتاب « روز كار سياه » فقرأ في طهران هذا الكتاب مدير الامن العام وتأثر به حتى بكى وجعل يسمح بدعوة ويتابع مطالعته ، وهذا في الليل . وفي صباح اليوم التالي عرج مدير الامن العام على السجن وطلب ان يؤتى اليه بعباس الخليلي ، احد السجناء فظن استقاء عباس في السجن ان مدير الامن العام جاء يفرج عنه بامر عال . فلما حضر عباس وجلسا يفرح مدير الامن العام بالقول : « في هذه الليلة الماضية كنت اقرأ روايتك « روز كار سياه » وبكيت كثيرا ، فجلت لاشكر لك على هذه الرواية ولاجربك ان ليس لي في سجنك » .

— قصة هذا الكتاب : كان الشاه رضا بهلوي السابق قد نفى عباس الى كرمشاه من غضبه عليه وشددت السلطة في كرمشاه سبل الحياة على العباس فكتب الى الشاه كتابة

وقد عرفتهم بالمراسلة ، ومتمم من ضمه التراب الذي ودعت
ان يقضى عيني ولا يوارهم ، وقد اجتمعت بين بقي حيا ،
شمرت بقدر ما حزنت على من مات وغلت ، وكنت لنا
محافل انس وادب على ضفاف النيل ومحاورات ادبية ...
(هكذا عرفتهم ص ١٢٥ و ١٢٦) .

وهذه بعض ابيات من قصيدته في مصر :

مدى لك عسى الحزن لحت يا مصر . وقت القدي بالفس او اسف الحز
تصمتك مثل القصر حتى طارا . فلما بدا منك السني وقع النسر
نوكري على هلم الكثر يا فارس . فقلت نرى مصر به فهو لي وكر
قلت : وهذه الابيات للعباس ، تذكرنا بقصيدة ابي
المكارم الشيخ عبد المحسن الكاظمي لما هبط مصر سنة
١٩٠٠ ، ومنها هذه الابيات :

ولما نقلنا للقوافر رحلتنا . وعسا الخطايا وهي حسرى وصلع
هضبا على هيش من الموج ضارب . بزحاره نحو السما يرفع
ولما نبئت السوس وسار سبي . الى النيل سار من الفرق اسرع
هرمت اليه مغلفا من حشني . وقت لصحي هذا مصر فاعروا
سقى الله دارا ثم الصب نضرها . والحسرى بها دارية تقسوع
ولما بلغ العباس الحبشة ولقي النجاشي سفيرا لايران
نمت بينهما بسرعة لا سلات بل اواصر من الثقة الشخصية .
ولا تمل من الهدايا من هيلاسلاسي : النيشان والوسمة
والنواقي من الاثار القديمة . وقبل هذا في صنعاء عند
الامير يحيى حيد الدين . وفي « هكذا عرفتهم » اورد الاستاذ
جعفر طوانس من المطارحات الشعرية بين العباس وصحبه
من الشعراء كتابا نود ان نقبس بعضها ولكن ضاق بنا
المجال .

من هذا حبل النهاية في هذه الترجمة ، نودج باساسة
انتماء حياته . فلان يعرف العباس في طهران تاجر سجاد
كثير من الارمن ، وانما يعرفه مجرد معرفة دون ان تصل
الى حدود المعاملات والخدمة العملية . فجاهد هذا يوما
ورجائه ان يكفله لدى البنك ككاتبه واسعة اد بيده صفقة
سجاد عظيمة الارباح جدا . واخذ هذا الرجل يلح على
العباس ويتوسل حتى انزل وكفله ببغداد ضحية ، وبعد
يومين طار هذا التاجر من طهران ، فترك العباس بماله
النكية القاصدة للظهر . فانارت به هذه الكارثة ، وهو كان
يشكو من قتل من توبت طيبة ، والابالة زادت ضغنا
بوتوع خلاف عاتلي بينه وبين اسرته ، وبينما صحبه
و « نادي القلم » في طهران يرتبون مهرجانا انيفا للاحتفاء
بالبوبيل الذهبي لعباس لتناق اكثر من نصف قرن في الادبين
العربي والفارسي ، التحق بالرفيق الاعلى في ١٠ شباط
١٩٧٢ واقام له مأتم حافل دل على مكانته وعلو منزلته ،
رحمه الله .

العوض للعرب بشقيقه الاستاذ جعفر ، وخر ما
يصنع لتخليد ذكره هو طبع ما ترجم شعرا من الشاعرات
كما تقدم . واني في الختام اشكر لآخي العلامة الاستاذ
المير اديب هذه المنة بما فسخ لي من مجال لاضع بين يدي
قراء « الاديب » المقروء في الخافقين ، ترجمة هذا النابغة
الفريد الطراز .

عجاج نوبهض

واسي الحقن — لبنان

رفيقة يشكو اليه ما يعائيه ، وبعد اسبوع رفعت عنه القيود
وقدم اليه بيت يليق به . وفي اثناء منفاه الى كرمشاه عكف
على التأليف . ومنه هذه الرواية الاجتماعية وصورتها
معالجة قضية الرقيق الابيض المنتشرة وقتئذ في طهران
وغيرها . تصور بيتا من بيوت الدمار خيه اربع فتيات
منحرفات وفي ليلة شائبة اشتد زهريها لم يزر الفتيات
احدا فجلسن حول النار للدفء واتفقن على ان كل واحدة
بحدن تحكي لرفيقتها كيف انزلت وانحرفت . فالموضوع
جذاب ، والمؤلف عقله مقل كاتب مصلح اجتماعي . وكان
لا ينقطع عن التأليف متى ما كان في سجن او منفى . والا
من اين انت الستة والمهاتون كتابا ؟

— ونظم الشعر العربي على اختلاف ابوايه
واغراضه ، وله قصيدة طارت بها الركباني ، مظهرها :
المحد يشهد يا فطر والكرم ان العلى اربنا ان بعدد اتم
الارض لوج به هفت ماترنا . برافنا الصب صبا والحداد تم
— ولما عاد من الغنى الى طهران عاد الى المعارضة
شأنه دائما وكانت جريدة « اقدام » جريته ، متنفس
المعارضة وصوتها وبسوطها . واخرج من ايران نجاة بغداد
ومكث فيها بضعة اشهر ، ورغبه الملك فيصل الاول بالبقاء
في بغداد . فسكر ، واعتذر بان صار له في طهران عائلة
ويونين ولا بد من الرجوع (١٩٢٢) . واولاده اربعة يعملون
في الطب والهندسة والكيمياء اكبرهم الدكتور مهيار .

— وقع شيء من المجادلة بين الصديقين الحميين .
عباس الخليلي المترجم ، وصفيه اجسم السامي النحوي
رحمهما الله ولم تعرف الاسباب . ولما جاء اديب السامي
يعاتب ويذكر عهد الشمل المجمع فماتت ابيته منها .
لسلكنا نود منه وفي فزادي يقبل السيد بربوده انهاء
ولكرى السود ما زالت عكفي لدى الاسم بعظما الوفاء
وانكى كلبا ارنو اليها وبسبها . على نوني — اليك
— وكان احيانا يعمل عباس في الدولة ، فاذا هبت
رياح جديدة لم يرض منها ، استقال وولى بعيدا . ويوما
عينته حكومة ايران سفيرا مندوبا فوق العادة ، في الحبشة
والبين ، وتعلقت قصة طريفة بوقوفه في القاهرة في طريقه
الى الحبشة . فلبا وصل القاهرة واخذ يلقي اخوانه
وصحبه وخالته وبينه وبينهم عهود قديمة ، واهبها صلاته
العلمية والادبية والشعرية ، وهو جد مشتاق الى هذه
البنية ، والقاهرة ملقى الكواكب والمواهب ، والاحباب
والاصحاب ، اخذ العباس يمد وقت اقامته في القاهرة
مرة بعد اخرى ، حتى اعتبرت سفارة ايران ان القصة
خرجت عن حدودها فاعلقت الخارجية . ولكن الخارجية
لم تبد حراكا ، وبقي حبله على الخارب حتى شبع من
اخوانه وخالته . وسجل عباس في ذكرياته قطعة نفيسة
تتعلق بهذا الامر جاء فيها :

« كنت سفيرا الى اثيوبيا (الحبشة) واليمين غزرت
في طريقتي مصر وهي كل امني ، او غلية ما كنت ارمم في
حياتي . وبعد الثورة النورية (ثورة النجف التي اوجزنا
خبرها) واحكم بالاعدام ، حاولت ان اقيم فيها ...
وسعدت بلقاء اناس طالما وعدت عيني بكجل النظر اليهم .

ذكرى الشاعر صالح جوفت

وسكنك دجعة في المتاح
احتوتك القبور تحت الصفائح
ليس فينا من صفقة الموت رابع
وتظليت كاشباب المباح
لمحة العلم أو صفاء القرائح
والا استحكم القضاء فما الطب بهفن ، ولا الطبيب بناجح
ثم غارقنا غرق النازح
طار في صحوة النهار الجامع
بالنيام الخطوب وهي فواح
بين احيانا ، ولا انت رائح
من لئاء ، وغير عطر فاتح
نتصرك بيننا في الجوانح
ان نضع السيول بين الاباطح
وعليه من الحداد ملامح
كسل طير عليك في الطلح نائح
مذ توليت أو طربت لصاح
كنت فيها وجهاً من البشر طامح
كل المامة بها بعد (صالح)
كل نكزى فيها نكز الجوارح
لك في الشعر كل اجر المكافح
كنت عن منهج الاصول نافع
كجواد في حلبة الشعر جامع
عربي ، ولا ببيان راجع
وهو حتى في النثر ليس بصالح
بين بلس العادي ولطف المسامح
بين جد التقوى ، وهزل المازح
كنت (عمرو) اللقاء بين البطائح
ان عدا حائد ، وترثر نايح
ما عهدناه بين اهل المسامح
م ما كنت في الغرام الفاضح
من حقوق ، او من عدو كاشح
ما خلونا من ماذح او فادح
فتلقيتها بكف المصافح
فهو في رحمة الغفور الصافح

قد حبتك مرة في الجوارح
ونفضنا اكفنا منك لما
ورجعنا من السوداع حيارى
قد توليت كالربيع المولى
عجرت (لندن) فلم تجد منها
واذا استحكم القضاء فما الطب بهفن ، ولا الطبيب بناجح
عشت ما بيننا كومة برق
شهد الله لم تكن غير حلم
ذهب العام والكزى... واستبدت
وافقا هنا... فلا انت غاد
لم يعد منك غير نفعة ذكر
بعد عام ونصف عام رجعا
لم نضيمك في الزحام ، فعاشى
كل شهر يمر بمدك اضحى
ليس - والله - ينقصني بك حزن
شهد الله ما نعت بشدو
وتحاشيت ان امير (يدار) (١)
فتجنبتها... وفلتت في حيرام
أوحشت وهي ذاك انس... ولكن
ايها المؤثر البيان المصفي
حين نافحت عن سوي القوافي
الجديد الذي يقولون عنه
شهد الله ما به من مذاق
استخفوا به فاسموه شعرا
ايها الجامع النقيضين شعرا
ايها اللابس القمصين بردا
كنت (قيس) الهوى اذا ما تغزلت و (عمرو) اللقاء بين البطائح
كنت يا صاحبي لسانا لمصر
لك في الله - رغم لهوك - سبع
غفر الجحد والعروبة والاسلا
ايها الفافر الاساءة لطفلا
ما تناسيت اننا - كائننا -
رب كيف مددت اليك اذاها
غفر الله للصديق المولى

(١) هي دار الهلال التي كان القيد رئيسا لتحرير مجلتها « الهلال » ، وتابا
لرئيس مجلس ادارتها .

نزار قباني

بعد دعوته بالامة العربية بمرتين

بقلم سكيبة الشهابي

حين دعا توفيق الحكيم الى الالتزام الحر النابع من اعماق الاديبي كنا نظن ان دعوته هذه تبرير لتناول قضاياء الشعب من فوق الشعب لا من بين الشعب ، ونبينا عليه انكشاه على ذاته في برجه العاجي . ولكننا مع ذلك اقبلنا على قرائته اقبالا ، في الوقت الذي اعرضنا فيه عن قراءة ما كتب من الشعب والى الشعب اعراضا .

بعد طود ايمان وطويل تأمل اعرصنا عما سماه اصحابه ادبا ملتزما لانه لم يكن نابيا من قلوبهم ومصورا لانفعالهم ، بل كانوا يجرون انفسهم اليه جرا ، ويستوحونها قسرا ، مخضعينها لمستور نادى به الادب الهالف لا يستطيعون تجاوزه .

وعلى الرغم من انهم اخذوا رايهم من الشعب - وكتبوا عن الشعب ، ونطقوا بلغة الشعب : فان الشعب اعرض عن هذا الغذاء الاصطناعي مبتلا على من تروا ادبهم من فوق واعطونا صورة صادقة لنفوسهم وانفعالهم واحساسهم بما يحيط بهم ، ولكنهم لم يدعوا انهم يعكسون احساس الآخرين وينقلون تجارب الآخرين .

ولا يختلف موقف نزار القباني من قضاياء الوطن وبشكل خاص بعد الخمسين من حزيران - من موقف توفيق الحكيم ، فقد التزم هو الآخر التزاما نابيا من اعماله ، ولم يتقيد بذلك الدستور الذي ارقق الشعراء الملتزمون به انفسهم . انصرف نزار القباني عن اغنيات حبه . وقصمه الغنية الخاصة الى قصص الوطن وقضايا الوطن ، ونقل الينا نفسه الشاعرة وهي تعيش احداث الامة ، واعترف صراحة انه بعد الخمسين من حزيران ما عاد يستطيع التخلي عن مسؤولياته تجاه الوطن ، اخذ منذ ذلك الحين يخس امته بشعره متوجها نحوها بقلبانه تارة ويسياطه تارة اخرى ، مخالفا بذلك مبدءا من اهم المبادئ التي نادى بها الادب الهالف .

وكانت مواقفه الساحرة الفاضية اضماص مواقفه الراضية الهادئة . وعلى الرغم من ايماننا بان ما يكتبه لم يكن مصباحا للامة بل عسا مربعة لاهية ، كنا نقرا

شعره ، يقرأه من يحب نزار ، ويقرأه من يفتن نزار ، لان الجميع لا يختلفون فيانه يستحق القراءة .

وبينما كانت السيلاط تدمي جسم الامة العربية ونزار القباني يعلو بها ويهبط حصلت معجزة تشرين فوجدت المعسا في يده وهو يستعرض موكب امه تريد الحياة . وبعد فترة من الصمت اضماها الشاعر وهو يفرك عينيه ، يريد ان يتأكد من انه ليس في حلم ، هدرت شاعريته بتصيد فريدة اسمها « ملاحظات في زمن الحب والحرب » ، نظلى فيها عن كل تشاؤمه وتجاوز احزانه الخاصة لفقد ولده واقل على امته بوجه طلق يسكب بين يديها حبه كله اويحيطها بقلبه كله ، ويعبر وجهه امامها طالبا منها ان تغفر له ذنوبا كثيرة دفعه الى اقترافها حبه الشديد وعطفه اللامتناهي . انه كان كالداوي حبيبته يستقيه الدواء المر لما يعلم من نفعه له .

ان هذه الامة التي اخذها من غلابيها في الماضي ومغصها صغما شديدا لم تكن تستحق هذا الصفع ، ولكنها تحتاج الى العطف والراعية . فالحوادث كشفت له عن وجه امته الاصيل الناصع البياض ، وفي هذه الحالة ما عليه الا ان يجدد علاقته بين يحب وان يفتح صدره لينهر ابنه العربية بعطفه وحنانه ، ويستغفرها ذنبا اقر على نفسه به .

ولئن كان الحزن قد اصابت نزار القباني قبل تشرين بتليل واذايت فؤاده لومة الاب الفائل فان شاعريته تهدر مرة اخرى بصدق ولكن في غير مجراها القديم ، لان الطريق قد تغير حين تجر بركان المعركة ، فكشف لنا عن وجه الشاعر الراضي الذي يحب امته حبا شديدا ، يحبها لا كما كان يحب صوحيباته في الماضي ، ينقل قلبه من واحدة الى اخرى ، لان امته واحدة ، وهو في حبه لا يحول العبث والاهو .. المحبوبة الا امه بنت له بصورة امرأة عربية تلخص لنا صور غرابه الماضي كله .

نزار القباني في قصيدته « ملاحظات في زمن الحب والحرب » يتف مبتعدا في هيكل الحب وسرعان ما يفرق حتى اذنيه مع من يحب حتى يكاد الثاري، يظن انه يحدثه عن حب جديد لولا صورة الوطن التي تزاخم وجه المرأة وتطفى على مغائنها وتصر في اعضائها :

الاحظت

كيف اكتشفنا طفولتنا بعد ست سنين

وكيف رجعنا اخيرا ..

لملكة المشق والمعاشقين ..

احسست مطني ،

بان رجال المظلات كانوا ..

يحطون رجال الحمام على راحتنا ..

وان جنود المغاوير كانوا ،

يمرون فوق عروق يدينا ..

الاحظت

كيف نثرنا عليهم ،
عقود البنفسج والياسمين ..
وكيف ركضنا اليهم ..
وكيف انتحينا
امام بناقلهم خاشعين ..

هذا الاحساس القوي بالمعركة عبر به من جسر
الحب الضيق الى جسر الحب الواسع ، فغابت صورة
النجربة الذاتية لنحل محلها تجربة امية ، وانزاحت خريطة
المرأة لتستقر بدلا منها خريطة الوطن بشكله الزاهي
الطلق ، كما استطاع الشاعر ان يراه :

تركت عصور انحطاطي
ورائسي

تركت عصور الجفاف
وجئت على فرس الريح ، والكبرياء ..
لكي اشترى لك ثوب الزفاف .

تسرين في زمن الحرب
مصفولة كالمرايا
ومسحوبة كالزرافة
وبين يدينا

تذوب الحدود وتلغى المسافة

هذا ما اثبتته التجارب والواقع القومي - معركة
الامة العربية واحدة ، ومصرها واحد ، ولهذا فانها تغوص
الحرب جبهة ، وتزحف الى المعركة بجيش متلاحق
متلاحم ، تفتح امامه الطريق عريضة سهلة ، وتلقي في
سبيل نفسه في المعركة كل الحواجز والحدود . هذا ما عبر
عنه في القطع الماضي بصورة رمزية ، ولما يعبر عنه بشكل
واضح في قوله :

قرات خرائط جسمك في كتيبي المدرسية
ولا زلت احفظ اسماء كل النهور
واشكال كل المصخور
وعادات كل البوادي
ولا زلت احفظ اعمال كل
الحياد ...

فكيف افرق بين حرارة جسمك
انت ...

وبين حرارة ارض بلادي ؟

الوطن المشوقة والمشوقة الوطن ، والامة
المشوقة ، والمشوقة الامة .. هذا ما اراده نزار القباني
بعد ان قفز بمجرأه ، وبعد ان تغلب على احزانه الفردية
لان هذه الاحزان جزء من احزان الوطن فكيف يظل حزينا
وبلاده تسير من نصر الى نصر ! لا عجب اذا ان يشترى
لها ثوب الزفاف ويمعش في رحلها نشوة لا تمد لها نشوة .
ربما نعم بالحب ، ولكن حبه الان جزء من سعادة امته
وكبرياتها ، كما انه جزء من طبيعتها الجميلة الساحرة :
الاحظت ؟

كيف نثر ايقاع صوتك
حتى تصورت صوتك ينبوع ماء
وزهرة خلتى على جبهة المجندية
الاحظت انك صرت دمشق ..
بكل بيارقها الاموية
وبصر بكل مساجدها الفاطمية
وصرت الكتابة والابجدية

وعلى الرغم من ان نزار القباني قد انزل اسمه في
قائمة الشعراء الملتزمين منذ حرب حزيران فان هذه اول
تصيدة يتولها مطلوبه بطابع الالتزام الابجدي . لانه اصبح
في هذه القصيدة جزءا من الوطن واصبح الوطن جزءا منه ،
وتخلى عن صورته القديمة ، صورة الشاعر النائم الساخط
الذي يريد ان يصر كل شيء ويحرق كل شيء . غدا الآن
متفائلا بعد معركة تشرين وادار ظهره لحزيران الاسود فها
عاد يراه ، ولم يعد يقسو على امته تلك القسوة التي
عرفناها فيها اسماء في الماضي شعرا ملتزما . لقد عاد
نزار القباني الى امته ليجدد علاقته بها ، عاد يلتبس منها
الصفح عن شعره القديم واخطائه الماضية - عاد ليكشف
امامها وقفة خاشعة منزعرة :

خجل نسبحين بتقبل جبهتك العالية
وهل نسبحين بنسيان وجهي القديم
وشعري القديم ..

ونسبح اخطائي الماضية .

هذا هو الخطيئ الخطير في ذات نزار من الشاعر
الرومسي المتعاقب الى الشاعر الملتزم الهادي . نعم ،
لقد اصبح الآن ملتزما بكل ما في كلمة الالتزام من معنى ،
بعد ان انصهر هذا الانصهار الصوفي في امته :

احبك ..

تحت الفيل وتحت الدمار

وتحت الخرائب

احبك اكثر من اي يوم مضى

لأنك أصبحت حبي المحارب

وليس هذا فقط ، فان نزار القباني يؤكد للناس انه
لم يعد شاعرا رومانيا يحلم بالدمعة والاطمئنان تحت ضوء
القرن الابيض لم يعد يسمى وراء الاوهام البعيدة والاحلام
المجنحة ، لقد نزل الى الشعب شأنه شأن اي شاعر
ملتزم :

وأعلن للناس اني اعارض

ضوء القمر

واكره ضوء القمر

وهذا يعني انه ادرك بحق دور الشاعر الابجاني في
خدمة امته المنفصلة ، ورفض كل ما يحول بينه وبين القيام
بهذا الواجب ، ضاربا الصفح عن كثير من تجاربه الفنية
السابقة .

وشيء رائع حقا ان يسوم نزار القباني في حمل

المسؤولية ، وان يراجع عن موقفه السلبي من امته المناضلة .

وإذا كنا صفتنا لنزار القباني في تصيدته هذه حتى كانت تذهب لكثنا من التصديق فإن هذا لا يمنعنا من ان نعترف بأن مادية الشاعر في غزله المكتشف كانت في بعض المواقف ان تقلص سمو القومية في القصيدة ، فهذه الاباحية في استعمال الفاظ الغزل لا يستطيع التخلي عنها مهما كان الموضوع ومهما كانت المناسبة .

ان قارئ ملاحظات نزار يلمس جانباً من هذه الاباحية ينسرب من مزجه بين الوطن والمحبة ، والذي راينا ما يشبهه عند محمود درويش وبشكل خاص في ديوانه « عاشق من فلسطين » فهل نقول ان الاستاذ يتقرب الآن من التلميذ ليعترف من بحر شيناً ، ليعب من اصالة القومية ؟

لا مانع في هذا بعد ان اصبح للتلميذ مدار مستقل وغنت تسبب من حوله الافلاك . لقد غذى نزار القباني محمود درويش في طولته الفنية مكان يسهه بالفنلة والصورة ، ويغنى على أسلوبه الفني فلا يستطيع الاغلات منه .

اما الآن فقد غدت المسألة مسألة اخذ وعطاء بين شاعرين كبيرين لكل منهما طابعه الخاص ومذاته الخاص . ومهما يكن من امر فقد استنطاع نزار القباني — في هذه القصيدة — باصالة الشاعر البديع ان يكون مع وطنه علاقة جديدة تقرره من شاطئ الانتماء .

وتعود ذكرى تشرين ويعود نزار ليفرد في دمشق ولدمشق ، ليفرد للبطولة وللإبداع ، واكتشف القناب عن مناهات مظلمة بدأت تحيط بنفسه وتغمر كيانه . وكان صوته في تشرين الذكرى مشبهاً صوته في تشرين المعركة لتشابه الاساس الفكري والخيالي الذي انطلق منه في كلما القصصيتين غير ان مذاق «ملاحظات في زمن الحب والحرب» غير مذاق « ترصيع بالظم على سيف دمشق » لان الشاعر ترك كتابته في الاولى ولم يستطع ان يتخلى عنها كلها في الثانية ، ونستطيع ان نقول ان شيع هذه الكتابة ظل يطاردنا حتى منتصف القصيدة ثم بدا بالتلاشي .

وهذا يعني ان الايحاء المنبث من كل من القصصيتين قد اختلف على الرغم من تشابه الصورة العامة ، فدمشق غدت في تشرين الذكرى عروساً جبيلة يهواها الشاعر ويتمد لها صورا من حبه وكتبت في العام الماضي امته العربية كلها امرأة جبيلة جددت علاقته بها معركة تشرين ، الامة العربية كلها ارتدت ملابس الزفاف لنزار القباني ، وجاءت دمشق الآن لترتدي هذه الملابس كما يشاء شاعرنا :

وفي طرفة العروس لاجلي من مهر الفصائل تسبح في ملاحظاته كنا نسمع نجوى الوطن وهنا نجوى دمشق مسقط الراس فيض من غفلات الحياة التي تعصف بذكرى الماضي ، وما يوهي به هذا الماضي من حياة صاخبة ملونة

عاشها الشاعر :

يا سريري وما شرافتي ابي يا عاصمي .. يا شذا .. يا غصون
ان لون قصيدة اليوم يختلف عن لون قصيدة اليمس ..
ففي ملاحظات العام الماضي لم نلح اثرا لياس قائم بعنصر
نفس الشاعر ، اما هنا غاليلاس القاتم في اول القصيدة يلف ذاته ويستولي على كيانه والذي يبدو لنا ان شيوخه
مناجاة داهمت الشاعر ، لم يكن يحسب لها حساباً . وزاد
احساسه بهذه الشيوخة في دمشق وهو يلتقي بذكريات
شبابه الماضي :

ما بقول على الدبار وقليبي كجيسي قد طرزته الفضون
يا زمنا في الصالحة سمعا ابن من الغوى واين القنن
سا زواريب حربي خبيني بين جنبك غلامك من
ان الزمان لا يعود ولا تستطيع زواريب حارته ان تخف
ما به من لوعة ، لكن صور الحياة الجبيلة الماضية حين
تمتزج بالطبيعة تستطيع ان تجن الشاعر ، تستطيع ان
تصعد عواطفه فيحس كأنه غذا جزءا من الطبيعة ، بل
ربما بدا ممزجا بها امتزاجا رومانيا يفوق كل ما عرف
الرومانيون من صور الذوبان :

يا دمشق .. التي قصمت فيها هل انا السر .. ام انا الشربين
ام انا الصل في اياريق ابي ام انا المشب والسحاب الهون
ام انا القصة الابدية في انا ر نفسي اذا داهما الضن
واذا كتبت الرومسية قد امسكت الشاعر من يديه وحاولت
ان تنسبه هيومة وتسليه عن احزانه فان الواقعية الجديدة
هي الاخرى تسليه نحوه مبرعة تحول ان تغطي آخر
اثار هذه «الكتابة فتذكر» بعد قطعة على نفسه بعد الغلبي
من حزيران ، هذا العهد الذي وهب فيه الشاعر نفسه
للوطن واستعانس من برجه المعالي بخيمة ينسجها فوق
قمم جباله الشامخة .

وحيل هذا ما عليه الآن الا ان يصعد من دمشق
الطبيعة الى دمشق الابداء . وهذا الصعود لن يمر في
اللوحة الفنية الا تغييرا خفيا لان صورة الجبيلة ستظل
مائلة في دمشق :

يا دمشق قلبي قدس شذاها نصت هدي كنه التزييفون
ويعد ان كان مقرورا متقدرا يقبل على قاسيون طالبا منه
ان يحتضنه كما تحتضن الام طفلها لتسهره بالحنان والدفء
والطابانية :

قام من مدائن الربيع وهدي ناحتني ككلهم يا قاسيون
اضمني .. ولا تلتقي ضوئي ذروة العلى .. يا جبلي الجنون
ياخذ في غيرة الثورة التي يحس بها في حضن امه الطبيعة .
يحكي لنا قصة الرحلة الفنية التي قام بها منذ الخامس من
حزيران حتى السادس من تشرين .. سبع سنوات اجتازها
تخلى فيها عن هواه وحبه الفردي واتجه الى الوطن يعيش
الاحداث ويسلط أضواءه الكاشفة على مشاكل الامة ويشعل
نار ثورته ليحرق الاعشاب الضارة المؤذبة .

في هذه السنوات السبع كان غاضبا على امته

ساختها على وطنه ، يصب نغمته على كل ما حوله :

سنوات سبع من الحزن مرت
سكنت فيها الصناعات والزيتون
سنوات فيها استقلت من الغضب وجفت على شفاهي اللحن
سنوات سبع بها اغننا اياها من وعلم الكلام .. والقصص
كيف اهلوا .. حين حول سريري بنسبي اليهود والفاشون

وحين جاء تشرين استعاد الوطن جماله في نظر الشاعر
واستعاد هو جبه في شخص دمشق .. بغور سحري صعد
في نفسه الحب فغدا يحب الوطن ويعيش جماله ، واصبحت
دمشق مسقط الراس ، ورمز البطولة ، امرأة جميلة يحبها
الشاعر وتحب ، عكس عليها ايامه واحلامه فبنت عروسا
تزهو بخلة تشبية من نسج خيال الشاعر ، لاجل الشاعر :

سلم .. يا سلم يا امرأة حبى
كيف ينسى غرامه العيون
جاء تشرين ان وجهك احلى بكى .. ما سره تشرين
يا دمشق ابني دعوي سوارا وطني .. نكل شيء يهون
وضي طرفة العروس لاجلي ان مهر القناعات تمين

ومنذ تراءى للشاعر صورة تشرين تنزاح من ايامه سحب
الكتابة الغائبة وتحل محلها صور الاجداد ، وتتذاع كوى
الماضي فيظل عمرو بن العاص ، وبطل المأمون ويرتدي
الشاعر حلة عربية تقليدية ليستقل وغود الماضي وليفنى
النصر كما غنى من قبله جده ابو تمام ، وربما حلت روح
الشاعر الجد بالشاعر الابن فاختلطت ايامنا صور النصر
واشبهت نفوش الماضي نفوش الحاضر :

مدح السيف وعده .. يا بلادي عاصمتي كلهم
مدح السيف حاكما وحقما وعده هتفت يا دمشق الشيخ

ولا اظن الشاعر في البيت الثاني هنا خرج تيد انثله عما
قاله ابو تمام في مطلع قصيدته « فتح عبورية » . وليس
هذا من القديم فقط . لقد اراد الشاعر ان يحشد للبعد
كل شيء قديم : السيوف ، والتمن ، الذي قلع لرامسه
قصوس بن ملك صيخون — كما تقول الاسطورة اليونانية —
والمنقاء ، ذلك الحيوان الخرافي الذي لا يستطيع احد
قتله ، والسبع العجاف التي تحدث عنها القرآن في قصة
يوسف ،

كل هذه الاشياء اراد ان يحقق بها غرضين : ان
يشعرنا بروعة النصر من جهة ، وان يؤكد لنا ان الاجداد
متعاقبة متصلة من جهة ثانية .

ولا يظن ظان ان زرار القباني تحول الى شاعر
انثابي ، وانه سيهجر قاموسه المصري مطلقا الى القديم
يطوف حول كعبته ويقتلس بعض شاره .. ان شيئا من
هذا لن يحدث لان الجديد اصل في الشاعر وهو لا يمنا يطل
براسه لا ليسجل عجزا عليه ولكن ليؤكد مقدرته الفنية
وليثبت لنا انه عرف كيف ينسج برودة لدمشق فيها جلال
الماضي وعذوبة الحاضر ، عرف كيف يذوب عائلته ليف
بها دمشق فتختل ساحة بقديمها وجديدها :

تعب الله ان توفني دمشق بك .. وبني الكون
هزم الروم بعد سبع عجاك وتمقسي وعادتنا المظنون

وقلتا العفاه في جبل الشيخ والقصى اضرامه الفسين
علينا منه العروبة يا شام قالتا البيسان والتمن
علينا الفقر .. لا نمر يرحي حينما الغضب كله سردن

والحقيقة ان الواقعية الجديدة وصلت ذروتها عند الشاعر
في آخر القصيدة حين حدثنا عن حتمية التاريخ التي تفعل
عملها لتعيد الحق الى نصابه ، ان منطق التاريخ سيستلم
زلم المبادرة وسيستعيد شعب اصيل اجماده هذا الشعب
الذي لم يعرف في تاريخه سكوتا على غيب ووضعنا للحق
في غير مكانه الطبيعي هل سيظل مطاوعة الراس ! ان
الارض التي انجبت ابطال الماضي ستجيب ابطال المستقبل .
ان ارضنا الخصبة لا توجد بالثمار فقط ، انها ثمر الرجال .
وما دما جزءا من الطبيعة فستجود الارض في المستقبل
كما جاءت في الماضي وستعطي كما اعطت . ويحل ابن
الشمام مكانه الطبيعي تحت الشمس :

ان نهر الفارخ يسبح في الشام ابلي الفارخ طرح هجين
من اهل القتياء « نورد » يان صوي ايواسه ولا « راسين »
كل ليهونة ستجب فضلا ومهال ان ننهي القيصون

ان قصيدة زرار القباني هذه تبرز لنا خلاصة النضج الفني
والجهد الاصيل بلغه رداء شفاف من القديم قوامه البحر
والغافية وشيء من البقع الفنية القديمة انها كانت العصر
الفاتنة ترتدي الملابس النبوية لتزيد جمالها جبالا وسحرها
سحرا .

وكما انه لا بد ان يثبت للشعراء المجددين ان التجديد
الحق لا يكمن بالتمسك بقديم من القديم .

او انه اراد لتقصيته ان تكون خالدة ولم يشأ لها
ان تختل موكب الخلود الا بتقلب قديم وشيء من المنهج
القديم ، اذكيف برصع سيف دمشق القديم شعر نرد على
البحر وتجاوز حدود الغافية . وربما هزت الشاعر نشوة
الماضي ، وتحركت به رواسب اللاشعور فاجتزعت في نفسه
اصالة القديم بروعة الجديد . وكان نتاج ذلك نقشا عربيا
يلام ذوق العصر ويشم تراث الاجداد .

انها معجزة الفن ان يضم المنهج العربي الانثابي
اغنية لدمشق تتلاني فيها الرومنسية والواقعية الجديدة
والكلاسيكية ، تسهر هذه المذاهب الثلاثة تجربة حية
عاشها الشاعر الكبير زرار القباني .

لقد استطاع زرار القباني ان يقيم مع الوطن علاقة
ايجابية جديدة بعد تشرين قوامها الحب والرشا والامل
والتفاؤل ، كان ذلك بعد ان رأى تضحيات شعبه ومنووده
امام جحافل الطغيان .. زابله الان شعور الغضب ، والتي
جانبها عصا المري القديم وتظن عن نزعة السلبية لانه
عرف انه من لمة حية تستعصي على الفناء ، لان في جذورها
عناصر التجديد .

سكينة الشهابي

دمشق

المتن

هلأنت كنت وما نزال منارا
يسرا لكان الدهر أم اعسارا
جلبت لسيرة غارضيها العارا
عمرا حسبت شهوره اعمارا
نعم المقر وقبل كنت مزارا

ورابت غمرك هاشما واطارا
ورباك خيل عمالق تتبارى
سحب القدي وتحدث الأعصارا
جسارة توحى الملا الجبارا
روحي شذا اعماقها المعطارا
غرسيت بقلب صحورك الأشجارا
عرباء تابى ذلة وصفارا
ضمرت لجبهات الفشار الفارا
اطلمت في افلاكه اقمارا
تخذوا النفسى لتشاطهم مضارا
جعلوا النبوغ لما ابتغوا معيارا

بالأسي حين بدا الظلام نهارا
والفدر يسكب نوره مسدرا
السق باعماق النفوس أنسارا
ونسوا صفاءه صفه وصفارا
وهناك كل قوارق تتوارى
ورابت حولي القشرة الاطهارا
والارض قد غرست لنا ازهارا

رعناء حولت العمار ديمارا
امسا سواك ابى له استقرارا
يوحي السلام ولا يطبق بوارا
لا ترتضي الاذلال والافتسارا
من اجل ان يغدو الورى احرارا
صارحت لكل العالمين منارا
والابجدية شاهدا ما ماري
والجيم عنق جبالهم موارا
ما دام في الدنيا ظلموم جارا
فلنملا المستقبل استبشارا
عار فهل يرضى الاكرام عارا

صارحت ديماري للذلة دارا
وعدوا على حرمانها فجارا
والرحى صال مزجرا هدارا

« يا متن » عدت وما جهلت الدارا
انا ما نسينك لا ولا اهلي نسوا
لم تحجب الينبوع عنا غربة
ظل الحنين يهزني ويشدني
عام وبعض العام ثم تكون لي

« يا متن » انت المتن في صف القرى
الارض ميدان الرمان جميعها
عمد السماء صنوبراتك عانقت
شمخت كمث طموح اهلك واستوت
انا ما شهمت عبي ارضك واحتوت
الا رايت زنود اجدادي وقد
وهبتك من كل الغزاة بهمة
نسجت حريرك للمناكب مثلها
حتى اذا ما العلم أن اوانه
لم تخل منهم سلحة في ارضنا
لم يبقوا وسطى المنازل انما

او ذاكر « يا متن » ليلة انسنا
وتالقست بالحسن اسراب الفلبا
والفرحة الكبرى تشيع كفتها
والناس بالحب الصريح تحذوا
والعلم يرفعهم الى أعلى القرى
حتى شمعت كأنسى في جنة
والماء كوثرنا تدار كلؤسه

لبنان كيف تعيش فيك ضفينة
والصب انت معينه ومقره
هذا الجبال تشيع فيك جنوره
مذ كنت كان العدل فيك اصالة
كم وثبة جسارة نبئت هنا
كم شطلة وهاجة اوقنتها
انت العروبة من قديم زمانها
غالباء من بيت الاعارب قطعة
والعين عنهم اتسى تابى الكرى
لم تختلف يوما على امجاننا
ولنقتسم هذي الجراح فانها

اتلا لا احس بغريزي الا اذا
واذا طغى فيها اللقام وشوها
وتراجع الانسان في انسلتها

ثم يقول في اليوم السادس عشر : لاربع عشرة ليلة بقيت ، الى اول العشرين ، فيقول : لعشر بقين ، او لنسج مقين من شهر كذا ، وهكذا الى ان تبقى ليلة واحدة ، فيقول : لليلة بقيت ، فان مضت وبقي نهار اليوم الاخير ، يقول : كنت لآخر يوم منه . واذا قال : لآخر ليلة منه او آخر يوم منه . دل هذا على ان الشهر القمري كامل (ثلاثون يوما) .

ويصح وضع ناء التانيث مكان نون النسوة ، والمكس في كل موضع يراد فيه التحدث عن عدد مدلوله جمع لا بعقل .

وعندما يقرءون السنوات والاعداد الكبيرة ، يرون ان قراءتها من اليمين الى اليسار افصح . فيقولون : ولد غالب في الثامن من آذار عام خمسة وسبعين وتسمنة ولف . وعندئذ ثلاث وتسعون وخسمنة ولف ابرة .

هذه هي خلاصة آراء النحاة عامة ، وآراء اصحاب النحو الواضع والنحو الوافي خاصة .

وانا ارى ان الافصح هو ما اعتدناه من قراءة الاعداد والتاريخ من اليسار الى اليمين ، ما دام ذلك قد سبغ لنا به ، وما دام العرب كافة ، من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي ، يقرأونها من اليسار الى اليمين ، فيقولون : ولد غالب في الثامن من آذار ، عام الف وتسمنة وخسمنة وسبعين ، وعندئذ الف وخسمنة وثلاث وتسعون ابرة . عليهما ان نستعمل الصحيح المألوف ، ونجتنب استعمال الصحيح غير المألوف ، وان اجمع النحاة واللغويين على انه الانصح .

الأرومة والأرومة (بفتح الهزة وضمة) ، والأروم (بفتح الهزة)

ويخطئون من يسمي اصل كسل شيء ومجتمعه : أرومة (بضم الهزة) ، ويقولون ان السواب هو : أرومة (بفتح الهزة) ، اعتيادا على قول النملية : (وفي حديث عمر بن ابي سفيان : « انا من العرب في أرومة » بفتح الهزة) بنائها . وقد تكررت في الحديث [وعلى قول بشار بن برد : كبرت أرومة ، والشرق وجهه وصفته فالفقه من الكبر] وعلى قول ابي الطيمان (شرح الحاشية للمرزوقي صفحة ١٥٩٨) :

فصل في لام بن عمرو أرومة سميت غرض صعب لا شال براقبه وعلى الفاظ ابن السكيت (باب الاصل والكرم) ، والالفاظ الكتابية (باب في كرم المحدث والاصل) ، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ، والتهذيب ، والحريري في المقامة الاسكندرانية ، والمعجم الوسيط . وجميعها فتحت هزة (الأرومة) .

ولكن :

اجاز فتح الهزة وضمة كليهما كل من اللسان والقلوب : والتاج ، والدا ، ومحيط المحيط . واقرّب الموارد ، والمثنى ، والمعجم الكبير .



محمد المناني

عشرات الادباء

بقلم محمد المناني

ادى اليه حقه

ويقولون : ادى فلانا حقه ، والصواب : ادى الى فلان حقه ، اي : سلمه اليه . راجع الآية ٥٨ من سورة النساء . ومن ذكر ايضا جبلة (ادى اليه حقه) : مفردات الراغب الاسفهاني ، ومعجم مقاييس اللغة ، واللسان ، والمصباح ، والتاج ، والدا ، ومحيط المحيط ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

قراءة التواريخ وقراءة الاعداد

يؤرخ العرب بالليالي ، لسمتها في حسابهم ، اذ الشهور المعتمدة عندهم قمريه ، واول الشهر القمري ليلة ، وآخره نهار ، فاذا انتهت الليلة الاولى من الشهر ، قالوا : كتبت لليلة خلت ، ثم لليلتين خلتا ، ثم لثلاث خلون ، الى ان تنتهي عشر ليال ، ثم يقول : لاحدى عشرة خلت ، او لثلاث عشرة ، الى ان تجيء ليلة نصف الشهر ، فيقول : كتبت للنصف من شهر كذا . ويصح ان يقول : لخمس عشرة خلت ، او بقيت ، والاول اعلى واكثر شيوعا على السنة الفصحاء .

وذكر التاج ، والد ، والمعجم الكبير ان ضم همزة (ارومة) لغة تميمية .
ولخطا اللسان حين قال ان اللغة التميمية هي فتح الهمزة لا ضمها .

واكتفى الاساس بذكر الأرومة (بضم الهمزة) ، ولخطا المعجم الكبير حين نقلها عنه مفتوحة الهمزة .
وهناك كلمة ثالثة تحيل معنى الأرومة هي : الأروم (بفتح الهمزة) : الصحاح ، والتاج ، والد ، ومحيط المحيط ، واقترب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير :
والوسيط .

قال مير بن شبيب القطامي :
بنى لك عامر ونحو كلاب اروما ما يوازنه اروم
يفتح الهمزة .
وتجمع الأرومة (بفتح الهمزة وضبها) على أروم (بضم الهمزة) . قال زهير بن ابي سلمى :
له في القاهسين اروم مسق وكان لكل ذي اروم
وقال جرير يمدح هشام بن عبد الملك :
ومن قيس سما بك نزع على علبه خلاصة الأروم
بضم الهمزة في البيتين .

اشترى ازارا جديدا او ازارا جديدة

ويخطئون من يقول : اشترى ازارا جديدة ، ويقولون ان الصواب هو : اشترى ازارا جديدا ، لأن الأزار مذكر ، اعتمادا على :
(١) قول الراغب الأسفهاني في معجده : (الأزار الذي هو اللباس) .

(٢) وقول الحريري في المقالة الشنوية :
وكم ازار لسو ان الدهر انقضى كيف ابد حيث السر مضطرب
(جفاف البلد كناية عن الاكابة والكذب عن الارتحال .
والسر الحديث : السريع) .
ولكن :

اجاز تذكر (الأزار) وتأنينه كل من اللحياني ، وادب الكاتب (في باب ما يذكر ويؤنث) ، والصحاح ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس (ويؤنث) ، والتاج (ويؤنث) ، والد ، ومحيط المحيط ، واقترب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

قال المعجم الكبير : يؤنث الأزار في لغة هذيل . اما قول القاموس والتاج : « ويؤنث » فيعني ان التذكير هو الاعلى والامل .

والأزار (بكسر الهمزة) والمززر ، والمزرة (عن اللحياني) ، والأزاره ايضا تعني الأزار .
ويجمع الأزار على :

(١) أزار (بضمين) : لغة الحجاز ، والصحاح ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والد ، ومحيط المحيط ، واقترب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

(٢) وآزرة (بكسر) : الصحاح ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والد ، ومحيط المحيط ، واقترب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

(٣) أازر (بضم غسكون) : لغة بني تميم ، واللسان (تميمية) ، والقاموس ، والتاج ، والد ، والمتن ، والمعجم الكبير .

ومن معاني الأزار :
(١) الملحفة ، وهي اللباس الذي فوق سائر الثياب .
(٢) كل ما وازك وسترك .

(٣) الرأي يعلق به في أسفل الكتاب والرسالة ، ويقال له : توقيع .

(٤) جر ازاره بطرا : تكبر . وفي الحديث : « لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ازاره بطرا » .

(٥) شد ازاره : اذا نهيا للامر واستعد .
(٦) باهر عفيف الأزار : وحفظ ازاره : عف .

(٧) حل ازاره : عهر .

(٨) ازار الحائط : ما يلصق به باسلفه للتقوية ، او الصيانة او الزينة (مجمع اللغة العربية بالقاهرة) .

الاسكيو

الشعب المغولي السحنة ، الذي يقطن المناطق القطبية وشبه القطبية من امريكا الشمالية ، يطلقون عليه اسم الاسكيو (بفتح الهمزة) والصواب (بكسرها) ، كما جاء في المعجم الكبير . والطبعة الثانية بمن المعجم الوسيط اللذين استحدثتا جميع اللغة العربية بالقاهرة ، وكما يرى عقنان الخطيب نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق .
اما الموسوعة الذهبية فقد ذكرت الاسكيو دون همزة ، ودون ضبط بالشكل .

والاسكيو كلمة دخيلة ، وعلينا وضع كل كلمة دخيلة في اطارها الخاص بها ، فمعا للفوضى ، لاننا مضطرون الى اتحام كلمات دخيلة كثيرة في لغتنا الخالدة ، وامننا نتقن مجال العلم والحضارة الحديثة المتطورة اليوم .

قتل العدو المرأة الأسير قتل العدو الأسيرة

ويقولون : قتل العدو المرأة الأسيرة ، والصواب :
(١) قتل العدو المرأة الأسير .
(٢) او قتل العدو الأسيرة .

لأن غيلا بمعنى المفعول لا يستوي فيه المذكر والمؤنث الا اذا كان الموصوف غير مذكور .

البابونج (بفتح النون)

هناك جنس معرب من النباتات العشبية ، من فصيلة المركبات ، يستعمل في الصباغة او التداوي ، يطلقون عليه اسم : البابونج (بكسر النون) ، والصواب هو بفتحها كما يقول التاج ، والد ، ومحيط المحيط ، والوسيط .

وحقن ، وحاصل) ، وشفاء الغليل ، والتاج ، والمذ ، ومحيط المحيط (في مادة تب) ، وأقرب الموارد ، والمثن ، والوسيط .

والبانجنان ، وإن كان كلمة فارسية معربة ، هو كلمة ورد ذكرها في عدد كبير من المعجمات والمصادر العربية ، ولا يعرف المثة وخمسون مليون عربي — على ما أرجح — اسماً سواه .

ولما كانت لدينا مئات من الكلمات المعربة ، التي أحياءها الاستعمال ، نقتو بها بدلاً من الكلمات العربية التي لهاها الأهمال ، كالخيار بدلاً من القند (يفتح ففتح) ، والياسمين بدلاً من السجلاط (بكسر فكسر تخفيف) ، فأنني أرى أن نهمل الكلمات العربية ، ونستعمل الكلمات المعربة الدخيلة ، لئلا نأبى أن نفر الناس من لفظة العربية المحبوبة ، التي علينا أن نهمل جميعاً على إزالة الإشواك القليلة من رياضها الحافلة بالورد الفواح .

الببغاء

الببغاء (يفتح فسكون) ، والببغاء (يفتح بباء مضعفة مفتوحة) ، والببغاوات (يفتح فسكون) ، والببغاوات (يفتح بباء مضعفة مفتوحة) .

ويخملون في اسم الطائر الناطق وفي جمعه ، وهو طائر من الفصيلة السنفاوية ، يطلق على الذكر والأنثى وهما **ببغاء** ، وأربع أصابع في كل رجل ، وله **لسان** ، ومن أشهر أوصافه أنه يحكي كلام الناس .

والمصباح ، والقالبوس ، والتاج ، والمذ ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، والمثن ، والوسيط تقول أنه الببغاء (يفتح فسكون) .

ويقال أيضاً أنه الببغاء (يفتح بباء مضعفة مفتوحة) : القالبوس ، والتاج ، والمذ ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، وأحد شوقي القتال :

بأله من ببغاء عقله في التنبه

وبالجهر ، والمثن ، والوسيط .

ويقول أقرب الموارد وبالجهر أنه الببغاء (يفتح ففتح) أيضاً . ويقول محيط المحيط أنه يسمى الببغا (يفتح ففتح) والببغاء (يفتح ففتح) أيضاً .

ويقول المتن أن كلمة (الببغاء) هندية دخيلة .

وتجمع الببغاء (يفتح فسكون) على ببغاوات (يفتح فسكون) : المصباح ، والمذ ، وأقرب الموارد ، والمثن .

وتجمع الببغاء (يفتح بباء مضعفة مفتوحة) على ببغاوات (يفتح فسكون) أيضاً : أقرب الموارد والمثن ، بيناً يجمعها المذ على : ببغاوات (بتخفيف الباء الثانية) ، وهو الجمع القليل المقتول .

ويقول المذ ومحيط المحيط أن أصل الكلمة الفارسية هو : بابونه . ويقول محيط المحيط أيضاً : أو : بابونك (يفتح النون) .

ويقول التاج أن اسمه في اليمن هو : مؤنس (بكسر النون) .

ويقول ابن البيطار في مفرداته والمذ أن عريية هو : الأقحوان (يضم الهزة) ، أو زهر الأقحوان كما يقول المذ . وابن البيطار والمثن لا يضبطان (البابونج) بالشكل . وقد عثر أقرب الموارد حين قال أن اسمه هو : البابونج (بكسر النون) .

البانجنان

البانجنان (يفتح الذال وكسرها) ، الأنب (يفتح النون) ، المغد (يفتح فسكون) ، المغد (يفتح نين) ، الودغ (يفتح فسكون) ، الحنق (يفتح نين) ، الحصيل (وزان فيمل) .

ويطون من يطلق على التنبات ذي الشعر الأسود أو الأبيض ، والمستطيل أو المكور ، اسم البانجنان (يفتح الذال وكسرها) ، لأنها كلمة فارسية معربة ، ويقولون إن الصواب هو الكلمات العربية الآتية :

(١) الأنب (يفتح نين) وواحدته أنبة (يفتح نين) : أبو حنيفة النبتوري ، ومفردات ابن البيطار ، واللسان ، والمصباح (في مادة بانجنان في الهلأش) ، والقالبوس ، وشفاء الغليل ، والتاج ، والمذ (في مادة بانجنان) ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، والمثن ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

(٢) والمغد (يفتح فسكون) : مفردات ابن البيطار ، واللسان ، والقالبوس ، وشفاء الغليل ، والتاج ، والمذ (في مادة بانجنان) ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، والمثن ، والوسيط .

(٣) والمغد (يفتح نين) : اللسان ، والقالبوس ، وشفاء الغليل ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، والمثن .

(٤) والحنق (يفتح نين) : ابن الأعرابي ، والأزهري ، ومفردات ابن البيطار ، واللسان ، والقالبوس ، والتاج ، والمذ (في مادة بانجنان) ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، والمثن (مجاز) .

(٥) والودغ (يفتح فسكون) : مفردات ابن البيطار ، واللسان ، والقالبوس ، وشفاء الغليل ، والتاج ، والمذ (في مادة بانجنان) ، وأقرب الموارد ، والمثن ، والوسيط .

(٦) والحصيل (يفتح فسكون) : القالبوس ، والتاج ، والمذ ، ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، والمثن .

ولكن :

ورد ذكر البانجنان (بكسر الذال) أو البانجنان (بفتحها) ، أو كليهما في مفردات ابن البيطار ، واللسان ، والمصباح ، والقالبوس (في مادة أنب ، ومغد ، ووغد ،

أما الببغا ، والببغاء ، والببغاء (يفتح الباءات كلها)
فأنتي أرى أن تجع على ببغاوات (يفتح فتحة) ، لأنني لم
أجد لها جمعا في المعجمات التي لدي .
ونطلق الببغاء على الذكر والأنثى ، فنقول : هذا
ببغاء ذكر ، وهذه ببغاء أنثى .

ويقول الوسيط أن الببغاء (بتضعيف الباء الثانية)
الصغيرة تسمى الدرة (بتضعيف الراء) ، ولكن محيط
المحيط وبانجر يقولان أنها من اقوال العامة .

بئر المصير الأعور

ويخطئون من يقول : بئر الجراح مصيره الأعور (زائدت
الوادية) ، ويقولون أن الصواب هو : استأصل المصير
أو قطعه ، لأن الأطراف (الأيدي والأرجل) هي التي تبتر .
ولكن (البئر) يعني قطع الأطراف وغيرها من الأعضاء
والأشياء كما يقول التهذيب ، والصحاح ، ومعجم مقاييس
اللغة ، والمحكم ، والنهية ، والمغرب ، والمختار ،
واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمسد ،
ومحيط المحيط ، وأقرب الموارد ، والثنى ، والوسيط .
و (البئر) قد يكون استئصالا ، أو قطعا للعضو قبل
إتمامه ، كتولنا : بئر فلان حينه أو محاضرته .

وجاء في الثن : بئر رحيه : قطعها (مجاز) .
أما عمله فهو بئر الشيء يبرته (بضم التاء ، بقرأ) .

القاملة لا البجامة

جاء في المجلد الثالث عشر من مجموعة المصطلحات العلمية
والفنية ، التي أقرتها لجنة اللغات الحضرية ، بجميع الله
العربية بالقاهرة ، ووافق عليها مؤتمر المجمع ، في جلسته
الثالثة بتاريخ ١٧ شباط (فبراير) ١٩٧١ ، في المادة رقم
٢٣ ، أن المؤتمر وافق على أن يطلق على الثوب من طعمتين ،
الذي ينام فيه ، اسمه الفرنسي والانكليزي المغرب
البجامة .

وعندما ظهرت الطبعة الثانية من المعجم الوسيط عام
١٩٧٢ ، ذكر البجامة ، وقال أنها كلمة من الدخيل .
وعربيتها (القاملة) ، التي قال عنها أنها ثوب ينام فيه .
وقال متن اللغة : « البجامة : قميص النوم » .
واتقرر أن نسبها القاملة أو النيم (بكسر التون) في جدول
رقم ٩٢ .

وقال الوسيط أن النيم هو ثوب ينام فيه . ولنا أرى
أن نكتفي بالقاملة ، لأنها كلمة تدل حروفها على وظيفتها .

تبجح ببجح

ويظنون أن الفعل تبجح عامي ، وهو فصيح ، ومن معانيه :
(أ) تبجح فلان : اتسع .
(ب) تبجح في الشيء : توسع .

(ج) تبجح الدار : تمكن في المقام والطول بها .
(د) تبجح الدار ، وغياها : توسعها .

ومن ذكر الفعل تبجح : جاء في النهاية لابن الأثير :
[وفي حديث خزيمه : « تظفر اللحاء وتبجح الحياء » أي
اتسع الغيث ، وتمكن من الأرض] .

ومن ذكر الفعل تبجح أيضا : الصحاح ، والاساس
(تبجح في الأمر : مجاز) ، والمختار ، واللسان ،
والقاموس ، والتاج ، والذ ، ومحيط المحيط ، وأقرب
الموارد ، ودوزي ، والثنى ، والوسيط .

واكتفى الصحاح والمختار بذكر المصدر (التبجح) ،
دون أن يذكر فعله . وجاء في مجاز الاساس : « تبجحت
العرب في لغاتها : اتسعت » .

أما الفعل ببجح فمعانيه كالفعل تبجح .

بحتر ماله لا بحتره

ويقولون : يحتر فلان ماله ، والصواب : يحتره ، أي يبدده
وغرقه . (راجع الآية التاسعة من سورة العاديات) .
وقد قرئ الفعل الثاني فيها بحتر (بضم الباء) بدلا من
بمثر (بضم الباء) .

ومن ذكر أيضا يحتر ماله فنحتر : الفراء ، وتهذيب
الالفاظ لابن السكيت (في باب الفرق) ، والأزهري (في
التهذيب) ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمختار ، واللسان ،
والقاموس ، والتاج ، والذ ، ومحيط المحيط ، وأقرب
الموارد ، والثنى ، والوسيط .

بجح الخطيب

ويقولون : بجح (بضم فتضعيف) صوت الخطيب ،
والصواب : بيج (يفتح الباء) الخطيب ، كما قال أبو عبيدة ،
والأزهري ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمختار ،
واللسان ، والقاموس ، والتاج ، والذ ، ومحيط المحيط ،
وأقرب الموارد ، والثنى ، والوسيط .

ولنا أرى أن حذف كلمة (صوت) أبلغ ، لأن البحة
(بضم فتضعيف) لا تكون إلا في الصوت ، وأن أجاز
الاساس لنا أن نقول : فلان أبج (بياء مفتوحة فتضعيف)
الصوت .

ونقول : هو أبج (بياء مفتوحة فتضعيف) ، ولا يقال
ببجح (بتضعيف الحاء) ، وهي بجاه (بفتح فتضعيف)
وبحة (بفتح فتضعيف) .

أما عمله فهو : بيج (بفتح فتضعيف) بيج (بفتح الباء
وكسرها وضمتها) بجا ، وبجحا (بفتحتين) ، وبجحا
(بفتح الباء) ، وبجوحا (بضم الباء) ، وبجاجة (بفتح
الباء) ، وبجوحة (بضم الباء) .

محمد العدناني

جغرافيا الرعب

العالم بركان نائر ...
 في الباطن ، في جوف الارض ،
 ينظم دورة غضبته تنظيم المتجدد للبحر ...
 يحفر اتفاقا تبلغه انحاء السطح ،
 وينفث فيها حمما حمراء
 تلون اسفار الزمن •
 تنسد منافذ اتفاق الغضبية
 ما بين الدورة والدورة ...
 ... الا نفقا منفذه يفر متسعا
 في قلب جنوبك يا وطني •
 ترتعد القطرات البيضاء
 على اطراف اناملك المبتلة من ماء وضوئك ..
 تغدو حمراء ...
 تستشهد في شك الاحرف ...
 الا القرنية
 انت الواقف في المحراب
 وقد يهمت الوجه المستبشر
 شطر القبلة في مكة والقدس — هتبقى ...
 ... طفلا مولودا في كفن •

©

والعالم بركان نائر ...
 في الظاهر ، ما فوق السطح ،
 يعدل بعض قدائه
 بجعلها كالمصن الطائر
 يرسلها انذارا ابيض
 في رمي قوم ما فتوا
 دون استيعاب حقيقته
 ينذرهم قرب عقوبته
 ان هم ظلوا في حلمهم
 بالشمس تظل بلا ثمن •
 والبعض الآخر يجعله
 كالغيم الاسود ، ينشره
 في عرض جهات الكون الاربع
 لكن الريح الشرقية والريح الغربية
 كل تدفعه ... وتجعبه
 فيخيم فوق الصحراء ...
 لكن لا يسقي واحنها
 يحتر بوهج الصحراء ...
 يفضب ، يرتد لحبرته
 يتساقط تلجا او بردا
 يشحذ اتياب التنين
 في سفح جنوبك يا وطني

محمد شبلي الذيب

©

ياطر — لبنان

خذا بي اتقت مبهورا امام هذه الرسالة التي تظلم
لطفا وايتسا ، والتي تفجّل التواضع .
ان هي الا ايام متداولة ، حتى بلغتني نسخة من
ديوان « انفس الجراح » .

خذا بي مرة اخرى اتقت مبهورا ، امام شاعر من
معيار خاص ، ولكنه مغبور منسي ، اقل ما ينبغي ان يقال
فيه : انه انسان ، يأخذ طريقه الى عقلك وقلبك ، من غير
ان يشق ذلك عليه ، ومن غير ان تعارض انت او تحاول
ان تعارض .

تلك هي آية من آيات الانتصار المعنوي .

جورج رشوان هاجر وطنه لبنان الى البرازيل عام
١٩٢٩ ... هناك ذاق مرارة الفقر والفتك تغالظه تسوء
الغربة .. تعاطى التجارة ، يباهظه فيها حساب الربح
طورا ، والضسارة اطوارا . مع هذا للتجارة لم تصرفه
عن اروع شيء وابتمه الى ذاته ، وهو غن الابد : تنظيمه
ونشره .

واليوم يسترد جورج رشوان ، وقد تخطى السبعين ،
ذكرياته الحفيمات في اغواره ، ويوصلها بخيوط واه بالحاضر
هذا الغائر النائر ، منشغلا نفسه الحساسة من اكدارها ،
ويرطبها بها مزاجه اللهب بفعل تطلبت الدنيا المضحكة
المكثية .

على نظيره الابام في الساحل العربي وقت وقد طلعت على عمرها بري
اسأل ظني عن نهباني ، عن التي عن الامس عن ماضي هباني عن هي
عن الازل عن عهد لامي فطمتي ومن لي بابي وبه في لمة الرب
قنمعم عني حقا في /جوابه ، وادركت ما بطني ، عقلت له : حسبي
ما عرفتني عسى انسى بطننا ، بمن على طب وامن على قلب
له الا ان تشرق في القصر واحد بعيني على الفكري واخر في الغمر

عكذا سكن جورج رشوان الى الوحدة في قرية من
قرى البرازيل النائية ، منزويا يقضي الباقيات من ايام
عمره ، تعلقو « انفاسه » ونسفل حسرة ، ونثر « جراحه »
ونثر لوعة ، عاكشا في شبيه عزلة ، زاهدا بكل شيء ،
متحاشيا بجسده الناس : نبيهم وسفيهم ، متدائبا اليهم
في الوقت عينه بفكره وشعره .

دعوني وعهدي في عزتي امانسج امري في وهديني
غريسا وبيا لك مس غريسة بمون عني بيا غريسي
عجبت العيسة بالقلبا فزادت بالقلبا هفتي
اذا ما الهوموسي استفتحت اسلمت الهوم على رشني
هصوم فبيس بيهما عالمم وليست تفريق بيهما هبني

لقد عرف جورج رشوان نفسه ...

ذلك اعظم ما فيه ، بل اعظم ما في الانسان في هذا
الوجود . لانه نقطة البداية في رحلة الحياة ، طالت ام
قصرت . اما قال سقراط في سحيقات القرون : اعرف
نفسك بنفسك !

من اجل هذا كله ، لا يستطيع جورج رشوان ان
يجد لغة المفاخرة والمكابرة . كذلك لا يستطيع ان يملك
حديث الاصل والفصل ... غما له وهذا الذي طواه الماضي



وحيد الدين بهاء الدين

جورج رشوان شاعر انساني مغفور

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

من شعراء المهجر وأدبائه ، عرفت جورج صيدح بشعره
المبثري وخلقه الرضي . كذلك عرفت جورج حسون مملوف
بـ « انفاصيه » ذات الطبع الفني والوجداني . ومن ثم
عرفت جورج كمدي بـ « كمدياته » و«ديوانه » الجديد .
اما غير هؤلاء ممن يحملون نفس الاسم والوسم فما عرفتهم
ولا الفهم ، بالرغم من ايتاري الرحلات الدائبات في عالم
الادب المهجري : الشمالي والجنوبي ، وصلائي القاتبات
بعديد من فرسانه وارياب صولجانه .

في منتصف صيف عام ١٩٧٥ ، وعلى غير انتظار :
ادركتني رسالة من « مسكتنا » بالبرازيل ، مضمة من
شاعر اجله ، هو جورج يوسف رشوان ، يقول فيها :
« خاطبتك دون سابق معرفة وسابق لقاء . بلى انا صديقك
وانت صديقي . اما تيل « صديق الى قلبي صديق صديقي » .
الاستاذ جورج صيدح هو صديقي ايضا دون سابق معرفة ،
وهو الذي هداني سواء السبيل اليك . بهذه الكلمة :
« اذا كانت لك حاجة في بغداد فاكثب الى صديقي الشهم
وحيد الدين بهاء الدين الصفيو يتاحد المؤلفين والكتاب
المرتبين والحرر بجلة « الكتاب » واذكر له اسمي فهو
يليك » . نعم حاجة اليك ، وهي ان تفصل بقول ديواني
« انفس الجراح » الذي طبعته بكل جهد جهيد ولم استعن
بدار نشر او بصاحب مال . عسى ان يمل اليك بالسلامة
ويحظى بنسخة صغيرة في مكتبك الكبيرة » (١) .

(١) ردت على هذه الرسالة برسالة نشرت بجلة « المراحل » .
العدد ٢٢٩ لسنة ٢٠ ايلول ١٩٧٥ سان باولو / البرازيل .

وعلى عليه ، وبليت مجرد معنى ، لا أثر له ولا غناء فيه ؟ ! بل ما انتفاعه به ، اذا هو لم يصنع وجوده بيده ؟ ولم يكتشف حقيقته الداخلية بآرائته ، ولم يحل مشعل الحرية والجمال في دروب الحياة بتقترنه ؟ !

انا ابن يومي فما شقي وابالي
صنعتنا كلها مع كل احلامي
جملت ذاتي في ذاتي فما التفت
بسي لظفي ولا اذهبت بقداي
ولا انصرفت باسي ولا بابسي
ولا ادعيت بلعالي واعمالبي
وان يكونوا ذوي مجد ومكرمة
واجدر القاسي في الدنيا بلكرامبي
لماذا ؟ ؟

لانه مخلوق من التراب ، واليه عائد عاجلا او آجلا ..
وعلى ماذا ؟ ؟

على التواضع المتألمة بتلاشي اسبابها ، والاعراض الزائلة بزوال ميقاتها :
سأبقي ترابا بجسر ترابا
الى ان امود الى نربسي
ويقول ايضا :

اهبوس ؟ قلت جسوت نفسي كلها راحت تكبر
افضرت ؟ قلت : وكيف افتر هل لظني ان يفكر
من هنا قال بعض المنصوفة : من عرف نفسه فقد عرف ربه .

ومن هنا ايضا نزع جورج رشوان نزعة انسانية الى درجة التواضع ، يقيم ارماضاتها على الوعي الذاتي والرويا الواقعية .

ربما كانت نزعته هذه وراثية عنده ، لكن لا شك ان اسبابا ايجابية اخرى كمسا سلف لا تقفها عمقا ولقفا :
واضلت عليها مضاه ورسوخا .

يسوق جورج رشوان حيوانه « انسان الجراح » الى « اية الانسان في كل مكان وزمان » ..

اية هدية مجزة اكرم من هذه الهدية ، واي شعور دقائق اجل من هذا الشعور ؟ ! لا شيء الا لانه يشارك اخاه الانسان في سرائره وضرائه ، يتعاطف معه ، يبتهجا بما يناله من اسباب التذمير والرخاء ، متألما لما يحيق به من بواعث الازراء والادواء ..

على انه لا يريد ان يتخلل من هذا الاحساس الانساني العميق المتطور الذي يحتويه فيجنويه ، بالرغم من انه تمنى — والتبني راس مال الفلاس — لو لم يكن له قلب ، لكيلا يتعذب ، ويتقلب على جبرات كاوليت :

يكفي بما لا يطاق ولم اكن لاسطيعه لو لم يكن ذلك من داني
قد مررت من قلبي على خلق بها تخيت لو اني امشي بلا قلب
ويقول كذلك :

لك الله يا قلب من صابر وليس لصبرك من ترحة
فما هات بالمرد الا هوان مصفى على السم وكسك
والشاعر صادق مع نفسه .. ومع الآخرين ، لانه ذو آباء وكبرياء :

ما صابني دمني على خلدي في العصر ما في اليسر من رغد
لك لغة في ما وجدت ولسي في ما وجدت ، وانت لم تجد
ثم يقول :

عسري ويسري ابن الشرق بينهما هذا القليل كلاك الطامح الظلمي

اقول للقص ان غالى السير بها هذا العصر مراشي ناعم نامي
لشئ اكتنفت شعير جورج رشوان مسحة الزهد
والترفع ، وطابع القناعة والانسانية ، فلا نخلة له عن ان يكون مشغولا ذهنه بالآخرين ، ملحونة ذاته بواقعهم الكريه الصارخ بالصراع في سبيل البقاء :

حسبي من العيش ما اقضي به موزي
وين حياه ما اعلا به حامي
عرب غلة عيش من طمعت بها
كانت لعداء لاطفال وايشام
ارضي بقسمي من دهرى واجمل ما
اصاب فري من حظ واقسام
انها تجربة نفسية محضة ، ولكن من خلالها تتفق الدلالات الانسانية والمعاني العميقة ، صريحة كالباب ، واضحة كالشمس ، في لوحة شعرية معبرة :

انت اذخر ما اسلمته مائتا
حسبي من الايام مثل يدي
عرب زاد غلبي عن اهد
في فوضه نفسي على اهد
عيني ضاعت هيهات بذهمها
رفع السراب وزهره الزيد
تل للذي يسمى الى غده
هيهات يوما تنفسي يفسد
اليس هذا كله خليقا بالتأمل ؟ !

ولنا ان ننظر الى موقفه الاخلاقي المتزيم من اغنياء اغنياء ، يشعخون بأنوفهم ، ويتعالمون على عباد الله ، من رؤساء وقراء ، حيث يرثي لحالهم ويرحمهم ، بنينا هو في تزاره يحجم .. فالحب دينه ودينه :

كم مر بي بحر ولم يرني
ولكم راسي قبل من بعد
اسرى ياقن — وسا لفينه —
انني اسير اليه في مدد
وبعيني سرا فارحمه
ان لم يكن عفا نفسي خلدي
والحب والحب كل مسمى
مد كلت من بعض ولم يزد
تلك فؤدة البشر في سلوكية الفرد واصالته .

لان اولئك الناس احوج ما يكونون الى غنى النفس ..
فلا يغنيهم ما بنوه لانفسهم من امجاد الثراء والرخاء ، ولانه :
غني على فقر ، فقير على غنى
ولانه يقول :

ولذا انصرفت الى الصفاة
سرت من ذاتي لذاتي
هروا غسلا نسيم على مسافتي
ولا طمع بسات
وهل شهدت طابينة نفسك
كلك ، وراحة بال كهذه ،
الا عند الانتقاء والعطاء ؟ !
بينما الحياة من حواليك عصف
وقصفت ، بد وجزر ، والناس من حواليك ايضا في سجال
وجدل ، في تلاحر وتهاثر .. ؟ !

ثم يتسائل جورج رشوان سائرا من اجاهل - دماهم الوهم وعمى القلب ، وغرور المجد الزائل ، الى النصور باتهم من جنس آخر ، ملكوا اي شيء ، وما كانوا الا مسرعين على انفسهم :

من اتت ما هذا الكبر ومن انا
صنوان مرقت الجهالة بيننا
بهنيك عرشك ما الهاد حليمه
وانا بلا عرش يخالفني الهنا
احصيت صمد طينة من غمر
كذب البقاء له وجسمي للنا
خدعوك الا اقروا اليك زمامهم
وتومسوك مؤنسا ومؤنسا

ويتجاوز جورج رشوان موقفه المتخذ من الانسان تعبيرا عن واقعه ، وتصويرا لآليته ، وتحقيقا لبعض من حاجاته ، الى اعتداد الناس كلهم أهله او من أهله ، والى اعتداد الدنيا كلها وطنه او كوطنه .

الكهل والمبوق

شمر الكهل عن ساعديه وجد في عزم ومضاء
يصوغ من قرن الوعل بوقاً قبلما يعدو عليه المضاء
وقال محدثاً نفسه : سوف يحمل هذا حكمة الحكماء
الى مشرق الدنيا ومغربها لحظةلقى فيه النداء
فيعلو في الكون صوتي وتصفي الريح لي اتم اصفاء
فخعلم الام مني ما ينتها ومن هم الآباء
ولن يعجب الصغار حديثي وان هو اعجب الآباء
ويفتح الاخوة اعينهم على خرافة الاخوة والاخاء
ويضي الانفراد فرادى فلا صداقة او اصفاء
ويصق الخرون رعباً اذ يرون جلباً حول الجزاء
فلا يكون ساعتها سبيلاً لشر او ايداء
فان وعى المصلحون قولي فما ضاعت حياتي هباء
قال هذا واشرق بالثور وجهه وبانت عليه علامت الهناء
ولكن .. خفت الصوت وضاع الرجاء
لما انتهت بانتهاء البوق انفاسه وظلرت روحه الى السماء

عبد العزيز جادو

الاسكندرية

يلعب فيه الانسان اخطر الادوار ، لانه مموهه الفقرى :
من انت بما هذا ؟ اراك كان في برديك تاجر
انا تاجر للحق مخدولاً اسمم البطل صاصر
انا تاجر للنساء تنهشها الضواري والكواسر
انا نورة حرساء في نسي نجيل بكل جائر
انا شاعر اليبداء سقتني اليك يد الامام
وبظرة خارقة تختزل المسافات ، وتهتك الحجب ،
يدرك جورج رشوان ما سوف يداهم لبنان العربي ، انه
يقول ، وماذا يقول :

لكم الله نحن يا شهداء

ضلقت الارض دوننا والسماء

نحن لبنان فامنعونا مقاباً

عندكم ، نحن مثلكم شهداء .

اما قلت في ثانيا هذا المثل : ان الشاعر جورج
رشوان انسان ، تقوم ارهاصاته على الوعي الذاتي
والرؤيا الواضحة .

لعلك تقول ممى : بلى .

وحيد الدين بهاء الدين

بغداد

الا توافقني لو قلت : ان الروح الانسانية الايجابية
تمثل رائحة شامخة ، بل اكثر روعة وشموخاً في تضاعيف
هذا الموت الجديد .

انه يابى الزمان قيدا ، والمكان حدا .. ويرفض
الناس غريباً ، ما دام الحب يستي لمحبه وجهه والايمان
يختلج في وجدانه وعلى لسانه ، والاطلالة تشد نظراته
عبثاً ووهجاً :

الناس اهلي والانسى ونسى الى تولدت تولدت لي بلدي
جسدي اذا اتلفت جنبه عوفت من نفسي على جسدي

ويقول في تصيدة اخرى :

انا رابسة بيفساء تفكك الترتيع وتكويج
انا نسمة الضب القسي تلوي الصبر على الصبح
ويقول في غير ذلك :

لا تسالي مما مذهبي لمن نصرتي .. لا تنصبي
ولم السؤال اما امسى بلعلم كل تصعب
هذا كله حري بان يحذو الشاعر على الثورة على
الجهل والانانية والتعصب والظلم ، ويدعوه الى مواجهة
الصيغ السلبية التي تنخر كلاسوس في كيان المجتمع الذي

أمام الهيئات القضائية المختصة وبالتالي يبقى لها الحق
الناتج في وصف النزاع الذي يقوم بينها وبين غيرها ، وقد
لما تراه مناسباً لمصلحتها .

وعلى هذا الأساس ، يتسنى لنا الإيضاح بأن التحكيم
الدولي ، رغم الاتجاهات الفقهية الكثيرة الداعية إلى جعله
الزامياً ، لم يستطع أن يلعب الدور الفعال في حل النزاعات
القضائية على الصورة المرجوة لحفظ السلام العالمي ،
والحوار دون نشوب الحروب التي تصيح ، في حال تعذر
العثور على الحل الملائم ، نتيجة منطقية من نتائج النزاعات
بين الدول . ولذلك كان لا بد من القيام بخطوة إيجابية
جديدة ، في هذا الاتجاه .

وهكذا ، فعلى اثر انتفاء الحرب العالمية الأولى ،
استقرت آراء الدول المشتركة عام ١٩١٩ في « مؤتمر
فرساي » على ضرورة إحياء المشروع الإلزامي إلى اقامه
سلطة قضائية قادرة على حل النزاعات بين الدول ، فجات
مقدمة حك « عصبة الأمم » منددة بالقوة ، ومزكية الجور
إلى التمسك والقانون لحل هذه المنازعات ، كما تضمن
المك ، في المادة الرابعة عشرة منه ، تكليف مجلس العصبة
إعداد مشروع تأسيس محكمة عدل دولية دائمة تكون
مختصة بالنظر في أي نزاع دولي الطابع ، يقدم إليها من
قبل الأطراف المعنية ، كما تكون مختصة بإصدار الآراء
الاستشارية .

وقد شكل مجلس العصبة لهذه الغاية لجنة تضم
عشرة أعضاء من مختلف الجنسيات والاتجاهات القانونية
فخلصت اللجنة أميلاراً من ١٥ حزيران حتى نهاية تموز
١٩٢٠ ، وأتمت المشروع الذي نوقش في دورات المجلس
والجمعية العامة ومن ثم أدخل في متن البروتوكول الصادر
بتاريخ ١٦ كانون الأول ١٩٢٠ عن العصبة ، وعرف فيه
بعد بنظام محكمة العدل الدولية الدائمة .

ولما كنا لا نرى انفسنا في مجال البحث الفصل في ماهية
محكمة العدل الدولية الدائمة من حيث جهازها ، وتنظيمها
واختصاصاتها ، وأصول العمل لديها والدور الطيب الذي
أدته على صعيد حل النزاعات الدولية ، بالأسلوب القضاء
الودي فإنا نكتفي بالإشارة إلى أهم ما تتسم به ماهية تلك
المحكمة لكي نخلص بعد ذلك ، إلى تبين أهمية قيامها
شوء تكريس فكرة المسؤولية الدولية :

١ - أما جهاز محكمة العدل الدولية الدائمة ، فكان
يتألف عام ١٩٢٠ من أحد عشر قاضياً وأربعة نواب قضاة
ثم رفع العدد عام ١٩٢٩ إلى خمسة عشر قاضياً وأربعة
نواب قضاة وأخيراً أقيمت عام ١٩٣٦ مناصب نواب
القضاة .

وبالإضافة إلى شرط الكفاءة ، كان يشترط في توريه
القضاة أن يمثلوا كافة أشكال الحضارة الإنسانية ، ويختلف
النظم القانونية الرئيسية في العالم . وقد اتخذ قصر السلا
في لاهاي ، مهولاده ، مقراً للمحكمة . لكن هذا المقر أنة



فوزي عطوي

القضاء الدولي والمقليمي في ضوء تطور فكرة المسؤولية الدولية

بقلم فوزي عطوي

المسؤولية الدولية والقضاء الدولي محكمة العدل الدولية الدائمة

في مستهل هذا البحث ، لا بد من العودة إلى التمييز
الذي تلحظه الإنفئات الدولية الخاصة بحل المنازعات ،
ما بين المنازعات السياسية من جهة والمنازعات القضائية
من جهة ثانية ، وبالتالي فلا بد من الإشارة إلى أن النوع
الثاني من المنازعات وحده هو القابل للحالة على القضاء
الدولي ، بينما يبقى النوع الأول الذي يظل ذا مفهوم مطلق ،
مما يحل الدول ، وخاصة تلك التي تتنكر لشريعة القواعد
الدولية حين تتعارض مع مصالحها الوطنية ، على صيغ
كل نزاع يقوم بينها وبين غيرها من الدول ، بالصيغة
السياسية لا القضائية حتى لا يضطرها لقبولها بحالة النزاع
إلى القضاء الدولي ، للإعلان لحكم هذا القضاء ، خصوصاً
وأنه ليس هنالك قانون يلزم أية دولة الزاماً مطلقاً بالمثول

٤ - نوع التعويض المترتب على خرق التزام دولي
ومدى هذا التعويض .

نموذج من الموافقة على الاختصاص الاتزامي للمحكمة

وبين ايدينا ، الآن ، نماذج عن تصريحات الدول
لت قبول الاختصاص الاتزامي لمحكمة العدل الدولية ومنها
دول : مصر ، السودان ، الولايات المتحدة الاميركية :
فرنسا ، المملكة المتحدة (بريطانيا وايرلند الشمالية)
والصين . ولنا نكتفي على سبيل المثال بذكر التصريح
الفرنسي بحريته :

« بسم حكومة جمهورية فرنسا ، انا الموقع ادناه
كوف دي مورفيل وزير الخارجية ، اقبل كإلزام حكما ودون
حاجة لأي اتفاق خاص ، وفيما يتصل بالأعضاء الآخرين
للأمم المتحدة الذين يقبلون نفس الالتزام أي بشرط المقاتلة
بالمثل ، اختصاص المحكمة وفقا للمادة ٣٦ - ف ٢ من النظام
الاساسي ، ولمدة ثلاث سنوات ، وبعد ذلك حتى يصدر
اخطار بالغاء هذا القول ، في كل المنازعات التي يمكن ان
تنشعب حول حقائق أو وقائع لاحقة لهذا الاعلان باستثناء :
١ - المنازعات التي يمكن ان يكون الفرقاء قد انقوا
او يمكن ان ينتقوا على الجوء من اجلها الى وسيلة سلمية
أخرى .

٢ - المنازعات التي تتعلق بمسائل يعتبرها القانون
الدولي واثمة ضمن الاختصاص الداخلي لفرنسا .

٣ - المنازعات الناشئة عن أي حرب أو نزاع دولي ؛
والمنازعات الناشئة عن معضلة تؤثر في الأمن الداخلي أو
عن تدبير أو إجراء ، يخخذ على هذا الاساس .

٤ - المنازعات مع دولة لم تكن عند نشوب الواقعة
أو النزاع قد قبلت اختصاص المحكمة لفترة مساوية على
الأقل لتلك المحددة بهذا الإعلان .

هذا بالنسبة للاختصاص القضائي . أما الاختصاص
الاستشاري ، فقد خول « صك العصبة » المجلس والهيئة
العالية فقط حق سؤال المحكمة عن رأيها الاستشاري في
الامور التي قد تترأى لاحدها ضرورة استفسار المحكمة
فيها .

٤ - - وأما اصول العمل لسدى المحكمة ، فتمثل
المرافعات الخطية ، وبعدها الإجراءات الشفهية التي تقدم
وتجرى أمام المحكمة ، وبالنسبة تنسحب المحكمة لتدرس
التقضية وتنصدر حكما فيها ، مع الإشارة الى أنه يحق
لدولة ثالثة ان تطلب التدخل في الدعوى اذا كانت تشر
ان قرار المحكمة سيؤثر على مصالحها القانونية ، أو اذا
كانت طرفا في اتفاقية ، يشكل موضوع الدعوى تفسيراً
لها ، كما أنه يحق للمحكمة ان تتخذ تدابير احترازية لضمان
مصلحة أحد الفرقاء ، على ان تلم مجلس العصبة فوراً

مرة واحدة الى مدينة جنيف بسويسرا ، عندما اجتمعت
الجيش الالمانية النازية هولاندة . ويروى ان الفوهرر
هتلر ، فكر بجعل قصر السلام مقراً لرئاسة اركانه ، لكنه
اطاع عن هذه الفكرة في النهاية ، احتراماً لمهابة القضاء
الدولي (١) .

٢ - وأما تنظيم المحكمة ، فقد نص النظام الاساسي
للمحكمة على ان اجتماعها يتم بكامل هيئتها والنصاب يتم
بحضور تسعة قضاة فقط . كما نص نظامها على تشكيل
ثلاث غرف هي : غرفة الإجراءات المستعجلة ، غرفة قضايا
العمل ، غرفة قضايا المواصلات والتراتيزيت .

وفي النظام الاساسي ، نصوص تتعلق بالقضاة المتعينين
وبالعدل والخبراء لكن المجال لا ينسع للمزيد من الحديث
عنهم ، فنكتفي بالإشارة الى ان تعيين القاضي المتم كإن
امتيازاً خاصاً ببعض الدول من دون بعضها الآخر ، وأن
تاريخ المحكمة لم يشهد مثول أي من الخبراء في أي قضية
من القضايا التي عرضت عليها .

٣ - وأما اختصاص المحكمة ، فهو يفرع الى نوعين
نصت عليها المادة ١٤ من صك عصبة الأمم ، وهما :
الاختصاص القضائي ، والاختصاص الاستشاري .

لقد كانت الدول وحدها ، سواء انتسبت أو لم تنتسب
الى العصبة ، هي صاحبة الحق في رفع الدعوى أمام
محكمة العدل الدولية الدائمة . لكن ولاية المحكمة كانت
تتوقف على توافق إرادة الفرقاء النزاع ، بمعنى أنه لم يكن
في وسع المحكمة ان تتبادر من تلقاء نفسها الى النظر
في النزاع .

وتجلى إرادة الدول إما باتفاق بين الدولتين
المنازعتين على رفع الدعوى الى المحكمة ، وإما بمعاهدة
مسبقة ينفق أطراف النزاع بموجبها على عرض نزاعاتهم
القضائية في المستقبل ، على المحكمة ، وإما بالموافقة على
الاتفاقية المعروفة بالصك العام للتوفيق والطلو القضائية
عام ١٩٢٨ ، أو بالموافقة على البند الثاني من المادة ٣٦
من نظام المحكمة الاساسي فيما على البند الاختياري ونصه :

« للدول التي هي أطراف في هذا النظام الاساسي ان
تصرح في أي وقت منها ، بدأت تصريحها هذا . ودون
حاجة الى اتفاق خاص ، ستر للمحكمة بولايتها الحصرية .
في نظر جميع المنازعات القانونية التي تقوم بينها وبين دولة
تقبل الالتزام نفسه ، متى كانت هذه المنازعات القانونية
تتعلق بالمسائل الآتية :

- ١ - تفسير معاهدة من المعاهدات .
- ٢ - أية مسألة من مسائل القانون الدولي .
- ٣ - تحقيق واثمة من الوقائع التي اذا ثبتت ،
كانت خرقاً لالتزام دولي .

(١) يراجع الهاش التوارد في الصفحة ٥١ من كتاب القضاء الدولي
للفكتورين غواد شيلف ومحمد عزيز شكري - الطبعة الجديدة - ١٩٦٦ .

نيز السيادة المطلقة للدول ، وتعديلهما بالقضاء الجبري الذي يعطي « ما لله » وما لتيسر لتيسر (٢) .

لقد اصدرت المحكمة كما اوضحنا ، احكاما كثيرة ، وآراء استشارية كثيرة فيما عرض عليها من نزاعات وتضايلا علاقة بين بعض الدول ، واما في مجال القانون الدولي فمن اهم آراء المحكمة :

١ - ان المعاهدة هي ذات اثر قانوني فيما بين الدول الاطراف فيها فحسب ، وفي حال الشك لا يمكن ترتيب حقوق للدول الاخرى فيها ، ولكن يجب ملاحظة انه ليس ثمة ما يمنع بشكل قاطع - امكانية استفادة الدول الاخرى من معاهدات لم تكن طرفا فيها(٣) .

٢ - ان المعاهدة الدولية لا يمكن بحذ ذاتها ان ترتب حقوقا او التزامات مباشرة على الافراد . ولكن ، مما لا شك فيه ان هدف المعاهدة نفسه وفقا لارادة الفرقاء المعنيين ، يمكن ان يكون لقرارا لتواعد محدودة من شأنها ترتيب حقوق والزامات للافراد ، قابلة للتطبيق من قبل المحاكم الوطنية(٤) .

٣ - انه في الوقت الذي لا تسمح فيه المادىء القانونية المتعارف عليها ان تستند دولة ما على دستور اخر في دعوى ضدها بل على القانون الدولي والالتزامات الدولية التي تتحملها هذه الدولة ، فلا يمكن للاخيرة ان تستند الى دستورها كيما تتخلص من التزامات مفروضة عليها بموجب القانون الدولي والمعاهدة النافذة(٥) .

وفي اتي حال كرنا نأخذ نظلم محكمة العدل الدولية الدائمة ادا قررنا انها قصرت من تلقاء ذاتها ، فيما انتدبت له من مهمة ، على صعيد القضاء الدولي ، ذلك ان الدول التي استحدثت عصبة الأمم ، لم تستطع ان تتوصل الى ترسيخ ايمانها بانها مسؤولة عن تصرفاتها تجاه اشخاص المجتمع الدولي ، الامر الذي مهد لقيام الحرب العالمية الثانية ، فكان ادنى آثار انقراض عقد العصبة هو زوال محكمة العدل الدولية الدائمة ، وان كان المؤتمرون في سان فرانسيسكو قد اجتهدوا بأن « التراث القانوني لمحكمة العدل الدولية الدائمة يجب ان يلعب دورا كبيرا في اجتهاد المحكمة الحديثة » اعني محكمة العدل الدولية الحالية .

فهل نجحت المحكمة الجديدة في المهمة التي لم تستطع ان تكمل المحكمة القديمة شوطها فيها ؟

(٢) القضاء الدولي : للدكتورون هؤاد شهاب ومحمد عزيز شكري ، ص ٦٢ و ٦٣ .

(٣) منشورات محكمة العدل الدولية الدائمة : قضية سلفيريا العليا

عام ١٩٢٥ .

(٤) منشورات المحكمة : القرار الاستشاري عام ١٩٢٨ حول

اخصاصها في دانزيغ .

(٥) منشورات المحكمة : الرأي الاستشاري عام ١٩٢٢ حول معاملة

الرعيا المؤتمرون والاشخاص الاخرين الذين هم من اصل بولوني في دانزيغ .

بذلك ، كما يمكن ان تتوقف المحكمة عن النظر في الدعوى اذا توصل الفرقاء الى اتفاق قبل صدور القرار .

وهذا القرار يقرأ في جلسة علنية ، وينشر غورا باللغتين الانكليزية والفرنسية ، وهما اللغتان الرسميتان للمحكمة . والقرار بعد هذا قطعي لا يقبل اي طريق من طرق المراجعة ، لكن يمكن طلب تعديل الحكم اذا ظهرت وقائع جديدة كانت تؤثر على الحكم لو انها اكتشفت قبل صدوره .

وثمة اصول مماثلة تتعلق باختصاص المحكمة الاستشاري . والمحكمة هنا تعمد في اصدار آرائها وغناوها ، على المعاهدات الدولية ، والعرب الدولي . والمبادئ العامة للقانون ، والاحكام القضائية الدولية والداخلية ، وآراء فقهاء القانون الدولي - ومبادئ العدل والانصاف - اذا اتفق الفرقاء على ذلك . لكن المحكمة لم تلجأ الى المبادئ الاخرى في اي من الاحكام الصادرة عنها . والآن نعود الى السؤال الاساسي : الى اي مدى كرس محكمة العدل الدولية الدائمة فاعلية القضاء الدولي ، على ضوء فكرة المسؤولية الدولية ؟

محكمة العدل الدولية الدائمة والمسؤولية الدولية

ورد في احدي نشرات « عصبة الأمم » ان « اثر المحكمة على تطور القانون الدولي ، مهما يكن محترما ، فهو اثر عارض لا يعادل الاثر المباشر الذي تركه في حل بعض الامور المستعصية بين الدول فيما احتل عنها من الحكم وآراء استشارية » .

وهذا الكلام صحيح الى حد بعيد ، فان محكمة العدل الدولية الدائمة اصدرت عددا غير قليل من الآراء والفتاوى فيما عرض عليها من نزاعات وقضايا مهم الدول ، وحسبت بذلك خلافا كانت تقضي مضاجع المجتمع الدولي ، لكن الظروف التي احاطت بنشأتها ، والتي راغقتها في عمرها القصير نسبيا ، بالنسبة لقواعد القانون الدولي ، لم تجعلها قادرة على ان تعكس شيئا هاما من ايمان الدول بمسؤولياتها ، بل على العكس ، تلاعبت بالمحكمة احواء ومصالح ، وغشلتها تيارات وغايات ، بعدما كان الامل كبيرا في ترسيخ قواعد المسؤولية الدولية ، وفي تكريس فاعلية القضاء الدولي الذي انتقل بفصلها من غيبيات الاحلام الفقهية الى الواقع العملي للموس .

ان من المنطق عليه بين غالبية بحوث القانون الدولي وقضااته ، ان اهم ما احرزه العالم المتقدم من خطوات في عهد عصبة الأمم ، هو انشاء الجهاز القضائي المتمثل في محكمة العدل الدولية الدائمة ، ولكن اذا لم يسن لذلك المحكمة ان تنجح للنجاح المرتقب في استيعاب اسباب كمالها ، من حيث الزاوية اختصاصها ، وانفاذ احكامها فلانها جاءت صنيعة الدول المتضمة في غرساي التي لم تكن قد اكملت عندها بعد (ولم تكمل حتى الآن) فكرة

محكمة العدل الدولية

لئن استطاع المجتمع الدولي أن يقرر نهائياً ، في مؤتمر سان فرانسيسكو إلغاء عصبة الأمم وتيالم « هيئة الأمم المتحدة » عوضاً عنها ، فإن موضوع استمرار محكمة العدل الدولية الدائمة أو تعديل نظامها أو إحلال محكمة جديدة محلها ، قد تعرض لكثير من الإخذ والرد ، إلى أن استقر الرأي أخيراً على إعلان نهاية محكمة العدل الدولية الدائمة (٦) . وبالتالي انشاء « محكمة العدل الدولية » المستقلة في وجودها عن المحكمة القديمة ، دون أن يكون في هذا الاستقلال ما يؤدي إلى انقطاع الصلة الفقهية بين المحكمتين .

ونكسب ههنا بالإشارة السريعة إلى أن جميع الدراسات والمقترحات التي وضعت من جانب جهات دولية مختلفة ، قد انصبّت في اتجاه يقول بضرورة قيام محكمة دولية ملحقة بالنظمية الدولية الجديدة ومن بينها :

١ - مشروع وزارة الخارجية الأميركية الذي وضعته لجنة خبراء شكلتها الوزارة المذكورة ، وقد عرف باسم Draft Constitution

٢ - مشروع الميثاق الذي أعدته لجنة ثنائية شكلتها وزارة الخارجية الأميركية ليكون دستوراً للنظمية الجديدة .

٣ - مقترحات اللجنة القانونية لمنظمة الدول الأميركية عام ١٩٤٢ (٧) .

٤ - تقرير لجنة الحلفاء المشتركة (غير الرسمية) .

٥ - مقترحات دومبارتون أوكس عام ١٩٤٤ (٨) .

٦ - دراسات لجنة الفقهاء في واشنطن (٩) .

٧ - وأخيراً مؤتمر سان فرانسيسكو (١٩٤٥) الذي أقر بصورة عامة آراء لجنة الفقهاء في واشنطن ، وبذلك أصبح الميثاق ونظام المحكمة الأساسي الذي يتبعه ، نافذين اعتباراً من ٢٤ تشرين الأول ١٩٤٥ .

أما المواد المخصصة للمحكمة في الميثاق فهي المواد (٩٢ - ٩٦) التي استغرقت الفصل الرابع عشر ولها نظام المحكمة الجديدة الأساسي ، فيقتضى (٧٠) مادة موزعة على خمسة فصول .

ولما كانت المادة (٩٣) من الميثاق قد نصت بصراحة على أن نظام محكمة العدل الدولية مبني على نظام محكمة العدل الدولية الدائمة ، ثم لما كانت صياغة النظام الأساسي للمحكمة الجديدة قد روعي فيها الترتيب والارتفاع والمواد

(١٠) كان لك بموجب قرار الجمعية العامة للصبة بتاريخ ١٨ نيسان ١٩٤٦ .

(١١) في مجلة القانون الدولي الأمريكي ، المجلد ٣٧ - ص ٢ و ٣ - عام ١٩٤٣ برافع مقال هودسون .

(١٢) مؤتمر الأمم المتحدة للمنظمات الدولية - ج ٢ - ص ١٠ .

(١٣) مؤتمر الأمم المتحدة للمنظمات الدولية - ج ١٤ - ص ٥٢ .

ذاتها التي كانت في النظام القديم ، غائنا نتعقد اعتقاداً جازماً أن استعراض جهاز المحكمة الجديدة وتنظيمها وأصول العمل لديها ، سيكون تكراراً غير مفيد ، ومن نوافل القول التي لا تنفيج جديداً إلى موضوع الدراسة .

وبقي علينا ، في هذه الحال ، أن نؤكد على الدمج الكبير الذي رغبت هيئة الأمم المتحدة تقديمه للمحكمة الجديدة ، إذ اعتبرت المادة السابعة من الميثاق أن محكمة العدل الدولية هي إحدى هيئات ست تضمها الأمم المتحدة ، كما أكلت اللجنة الرابعة المتبعة عن مؤتمر سان فرانسيسكو ، والتي تولت دراسة نظام المحكمة تصميم الدول المشتركة في المؤتمر على ضرورة استخدام المحكمة لتطعب دوراً هاماً في الحفاظ على الأمن والسلم الدوليين ، وأنها كواحدة من الهيئات الرئيسية للمنظمة ، ستلتبج بالتأييد (المعنوي على الأقل) من جانب جميع الأعضاء ، طالما أن نظامها هو جزء لا يتجزأ من ميثاق الأمم المتحدة (١٠) . وعلى هذا ، فقد أتبج المجتمع الدولي نحو تكريس الاختصاص الإلزامي للمحكمة ، بعدما كان العديد من الدول قد أبدى موافقته على السد الاختياري (المادة ٣٦) الذي سبقت الإشارة إليه ، لدى الحديث على اختصاصات محكمة العدل الدولية الدائمة .

لكن الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفياتي ، أيسابا وثيقاً منها بسياسة السك الكبير والسك الصغير ، أصرا على موافقتهما السطبي بإسراء اختصاص المحكمة الإلزامي بجهايا أيهه الصين ، كما أيبته بريطانيا ، بحفظ لا بل أن القانونين الإمبري والسوفياتي في مؤتمر سان فرانسيسكو أكدوا بوضوح تام أن حكومتهما لا يمكن أن تصحق على النظام الأساسي للمحكمة وبصورة أفق على ميثاق هيئة الأمم المتحدة إذا احتوى نصاً يفرض اختصاص المحكمة ، فكان بديها أن رأى « السك الكبير » ، كان الرأي الغالب الذي ابتلج كل آراء « السك الصغير » في نهاية المطاف . ولم يكن ذلك بمستغفراً في شيء ، فإن للمجتمع الدولي في حق النفض المقرر للدول الكبرى في مجلس الأمن ، سببقة لا تحتاج إلى توضيح .

ولعل أبلغ ما قيل في وصف الموقف الإمبري والموقف السوفياتي من الاختصاص الإلزامي للمحكمة ، كلمة مندوب المكسيك الذي قال (١١) :

« لقد أوضحت الدول الصغرى ثقنتها بالدول الكبرى حين وافقت على الصلاحيات الواسعة لمجلس الأمن ، حيث القوة الفعلية للأخرة ، غير أنه ليس للدول الكبرى مثل هذه الثقة حين ترفض الببدأ الفعّال بحل المنازعات القانونية الصراف عن طريق محكمة أثبتت غير مرة نزاهتها وتجردها وتمسكها بقواعد القانون » .

(١٠) مؤتمر الأمم المتحدة للمنظمات الدولية - ج ١٤ - ص ٥٢٨ .

(١١) مؤتمر الأمم المتحدة للمنظمات الدولية - ج ١٤ - ص ٢٢٧ .

قررت فعلا عدم اختصاصها في النزاع المذكور (١٢) .

رابعاً - المسؤولية الدولية والقضاء الاقليمي

محكمة العدل العربية :

بالإضافة الى قيام محكمة العدل الدولية الدائمة ،
ثم محكمة العدل الدولية ، يجدر بنا ان ننوه بقيام عدد من
الحكمم الانطيمية الالية الى ضمان حقوق الأفراد ومنها :

١ - المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان : وقد نصت
على انشائها وعلى انشاء « لجنة حقوق الإنسان » معها ،
الاتفاقية الأوروبية لحماية حقوق الإنسان والحريات
الاساسية (٤ تشرين الثاني ١٩٥٠) (١٣) .

٢ - المحكمة الأمريكية لحماية حقوق الإنسان : وقد
ذكرت في المادة ٣٤ (الفندب) من الاتفاقية الأمريكية لحقوق
الإنسان التي ما تزال حتى اليوم مشروعا لم يخرج الى
حيث التنفيذ بسبب تعذر تصديق سبع دول اميركية عليه
وفقا لنص المادة ٨٥ من المشروع .

٣ - محكمة دول اميركا الوسطى لحقوق الإنسان :
وقد نص عليها في مشروع اتفاقية الدول المذكورة وهي ما
تزال كالمحكمة الأمريكية في حيّز المشاريع التي لم تقدر
بالتفاد .

٤ - مشروع محكمة العدل العربية : نص ميثاق
جامعة الدول العربية (المادة الخامسة) على انه لا يجوز
الانضمام الى التوقيعات المنازعات بين دولتين او أكثر ،
من الجامعة . نفاداً لثبب خلاف لا يتعلق باستقلال الدولة
وسيادةها او سلامة اراضيها ولجا المتنازعون الى المجلس
لفض الخلاف ، كان قراره حينئذ نافذا وملزماً .

وفي هذه الحالة لا يكون للدول التي وقع بينها الخلاف ،
الاشتراك في مداوات المجلس وقراراته .

ويتوسط المجلس في الخلاف الذي يخشى منه وقوع
حرب بين دولة من دول الجامعة وبين اية دولة اخرى من
دول الجامعة او غيرها للتوفيق بينهما ، وتصدر قرارات
التحكيم والقرارات الخاصة بالتوسط ، بأغلبية الآراء .

فاذا عطلنا على هذه المادة ، نص المادة السابعة
من ميثاق جامعة الدول العربية التي تقول :

ما يقرره المجلس بالإلجاء يكون ملزماً لجميع الدول
المشاركة في الجامعة وما يقرره المجلس بالأكثرية يكون ملزماً
لن يقبله .

« وفي الحالتين تنفذ قرارات المجلس في كل دولة ،

(١٢) ابراهيم مقال للكتور ابراهيم شحافه ، عنوانه « موقف الدول
الجديدة من محكمة العدل الدولية » في المجلة المصرية للقانون الدولي
ج ٢٠ - ص ٢٧ - ١٩٦٥ .

(١٣) ابراهيم مقال للكتور عز الدين غرد ، عنوانه « المحكمة
الأوروبية لحقوق الإنسان » في المجلة المصرية للقانون الدولي ملحق ج ١٩ -
ص ١٢١ و ١٩٦٤ .

وفي اي حال ، غسان الدول (الموافقة منها على
الاختصاص الاقليمي والرافضة له على السواء) لجأت
غير مرة الى محكمة العدل الدولية باستثناء الاتحاد
السوفييتي الذي لم يبين لنا ، من المراجع التي بين ايدينا ،
انه لجأ الى المحكمة على الاطلاق ، بل كان مدعى عليه
من قبل الولايات المتحدة (عام ١٩٥٤ و ١٩٥٥ و ١٩٥٨
و ١٩٥٩) لكنه لم يقبل الثؤل امام المحكمة ، فشطبت
الدعوى المرفوعة ضده ، وكذلك كان موقف هنغاريا
(١٩٥٤) وتشيكوسلوفاكيا (١٩٥٥) مما يؤكد لنا مجدداً
مدى تمسك بعض اشخاص المجتمع الدولي بالسيادة
المطلقة التي تتناهى ومفهوم المسؤولية الدولية التي نحاول
تبين ملاحمتها من خلال القضاء الدولي .

ومن الطريف ان نفكر ، في هذه المناسبة ، ان فرنسا
رغبت امام المحكمة خلال عشر سنوات (ما بين ١٩٤٦
و ١٩٥٩) ست دعوى ، كانت اثنتان منها ضد لبنان ،
بعدها تبنت دعوى شركة بيروت للكهرباء عام ١٩٥٣ ،
وشركة ميناء بيروت ورامبو الشرق ، عام ١٩٥٩ ، لكن
الدعويين شطبوا فيها بعد ، بتفاني الطرفين ، وهكذا كان
كل من الدولتين « يحمل الهوى ، ويخرج منه ، لا عليه
ولا له » فتركزت بذلك لغة التسوية ولم يترسخ جذر
واحد من جذور المسؤولية الدولية .

على ان السؤال الذي يعنينا في معرض هذا البحث :
ماذا يرتب القانون الدولي من احكام لمواجهة الحالة التي
تعرض فيها دولة معينة ، وبسبب من الاسباب مدا احترام
حكم المحكمة ، رغم قبولها بمعرض نزاعها عليها ، واعتراضها
لها باختصاصها في رؤية النزاع ، وفي اصدار حكم بشأنه ؟

الحقيقة ان المادة (٩٤) - من ميثاق الأمم المتحدة
تنص ، بهذا الصدد ، على ما يلي : « اذا امتنع احد
المتنازعين في قضية ما من القيام بما يفرضه عليه حكم
تصدره المحكمة ، فللطرف الآخر ان يلجأ الى مجلس الأمن .
ولهذا المجلس ، اذا رأى ضرورة لذلك ، ان يقدم توصياته ، او
ان يصدر قراراً بالتدابير التي يجب اتخاذها لتنفيذ هذا الحكم ،
ولا يخفى ما في هذا النص من تغلط وضعف لا سبب في عبارتي
« اذا رأى ضرورة لذلك » و « يقدم توصياته » فقد انحلت
هاتان العبارتان على النص الاصلي الذي كان مقترحاً ،
بناء على اعتراضات اثارها كالعادة كل من مندوبي الولايات
المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي .

وقد حدث فعلاً ان تمتعت دولتان عن انفاذ حكم
محكمة العدل الدولية هما اليابان وقد رفضت دفع التعويض
لبريطانيا في خسارتها في السفن المنجزة بفعل الالغام
المزروعة في بحر كورفو ، لكن المجلس لم يتخذ قراراً بشأنه
بسبب معارضة الاتحاد السوفييتي ، وايران ، وقد رفضت
تنفيذ التدابير الاحترازية التي تترتها المحكمة بشأن الدعوى
المتعلقة بشركة الزيت الانكلو - اميركية ، ثم ان المحكمة

ومدى ايمانها واحترامها لقواعد القانون الدولي ، ولاحكام
القضاء الدولي .

خامسا - مستقبل القضاء الدولي

الحقيقة المرة التي لا بد من الاعتراف بها ، بصراحة
تامة ، عندما نشرع في استشفاف مستقبل القضاء الدولي ،
ان اسبابا كثيرة حالت الى الآن دون تكريس فعالية ذلك
النوع من المحاكم الامر الذي رسخ سيادة الدول على حساب
سيادة القوانين الدولية . ومن هذه الاسباب :

١ - كثرة لجوء اعضاء هيئة الامم المتحدة الى محاكم
اخرى غير الاداة الرئيسية للقضاء الدولي ، عنيت بها
محكمة العدل الدولية .

٢ - تردد الدول في تبني تضاياعاها ، وفي تحريك
مسؤولية الدول الاجنبية ، وذلك حرصا منها على العلاقات
الطيبة القائمة بينها وبين تلك الدول .

٣ - عدم قيام محكمة جزائية دولية للنظر في الجرائم
الموجهة ضد امن الانسانية وسلامتها وكرامتها .

ومن اجل مزيد من فعالية القضاء الدولي ، لا بد من
اخذ المقترحات التي يقول بها فقهاء القانون الدولي بعين
الاعتبار ، ومنها :

١ - اتساع المجال امام الوكالات والهيئات المتخصصة
لرفع الدعاوى امام محكمة العدل الدولية .

٢ - السحب من فروع المحكمة الدولية في انهاء العالم
تكون المختصة على امسائل جغرافي ، وتعتبر محكمة العدل
الدولية بمثابة المرجع الاستئنافي الذي ينظر في احكام المحاكم
الفرعية .

٣ - تشجيع تضامن الدول فيما بينها على انشاء
محاكم اقليمية ، اسوة بما ذكرنا بالنسبة لانشاء محكمة
العدل العربية العتيدة .

اما بالنسبة لتعزيز دور محكمة العدل الدولية الحالية ،
وبالتالي تعزيز سيادة القانون الدولي ، وترسيخ الاعتقاد
بالمسؤولية الدولية ، فلا بد من الاخذ بجلة مقترحات
يوردتها الحقوقيون الدوليون ومنها :

١ - الحصول على اكبر عدد ممكن من قبول الدول
الطوعي بلخصاص المحكمة الاترازية .

٢ - لجوء الجمعية العامة للأمم المتحدة الى المحكمة
لطلب الاراء الاستشارية او احالة المنازعين على المحكمة
واعتبار كل خلاف قانونيا الا اذا قررت المحكمة خلاف ذلك .

٣ - تعديل نظام المحكمة بما يشمن صراحة ،
للمنظمات الدولية ، حق التقاضي والنزول امام محكمة
العدل الدولية ، بصفة مدعى عليها .

٤ - منح الاشخاص حق التقاضي امام المحكمة ضد
الدول او ضد المنظمات الدولية .

٥ - تأسيس المحاكم الاقليمية التي تضم قضاة
اقليميين وتطبق القانون الدولي الاقليمي الذي هو اقرب

وفقا لنظمها الاساسية » . استطعنا ان نستنتج الملاحظتين
التاليتين :

١ - ان النص الاول ذكر كلا من التحكيم والتوسط
والترؤيق ، ولم يذكر القضاء .

٢ - ان النص الثاني يرجح كفة سيادة الدول
الاعضاء واستقلالها ، على فكرة التعاون فيما بينها ، او
اقرار مسؤوليتها في الالتزام بالتضامني بقرارات المجلس .

ولا ريب في ان هذا الواقع يجعل الميثاق منظوبا على
ثغرات لمسا مجلس الجامعة غير مرة ، الامر الذي دفعه
منذ عام ١٩٥٠ الى النظر الجدي في انشاء « محكمة العدل
العربية » خصوصا وان المادة ١٩ من الميثاق تنص على ان
من بين اسباب تعديل الميثاق انشاء محكمة عدل عربية ،
وقد الف المجلس لهذه الغاية ، لجنة ثلاثية بموجب القرار
المؤرخ في ١٣ نيسان ١٩٥٠ ، وضعت مشروعا بذلك ،
وما زال مجلس الجامعة ، منذ ذلك التاريخ يبرجه النظر
في موضوع المحكمة ، مبررا ذلك بضرورة اتاحة الفرصة
امام الدول الاعضاء لتوحيد وجهات نظرها حوله ، قبل
عرض بصيغته النهائية على مجلس الجامعة .

وكان آخر تاريخ لادراج مشروع « محكمة العدل
العربية » في جدول اعمال الجامعة ، هو دوره ايلول
١٩٧٧ ، لكن اي قرار بهذا الشأن لم يتخذ حتى تكلية هذه
السطور .

ولا ريب في ان قيام محكمة العدل العربية المقصودة
اصبح امرا ملحا ولا سيما في الفترة الأخيرة حيث تدهوا
بالم واسف لوانا من المنازعات العربية التي وصلت الى
حد الاستتال الدولي ، واخرها قتل الحدود بين مصر
وليبيا (١٩٧٧) وفي حال تحقق قيام المحكمة ، فان ذلك
يعتبر انسجاها مع احكام المادة ٩٢ من ميثاق هيئة الامم
المتحدة التي لم تحصر بمحكمة العدل الدولية ممارسة
القضاء الدولي بل اعترفتها الاداة الرئيسية القضائية
للهيئة ، وانسحت في المجال امام محكم دولية على الصعيد
الاقليمي ، اذ ورد في المادة ٩٥ من الميثاق قوله :

« ليس في هذا الميثاق ما يمنع اعضاء الامم المتحدة
من ان يعهدوا بحل ما ينشأ بينهم من خلاف الى محاكم
اخرى يمتتنى اتفاقات تكلية من قبل او يمكن ان تعقد
بينهم في المستقبل » .

وغضلا عما تقدم ، فان محكمة العدل العربية المقترحة
تساعد على قيام قضاء اقليمي متخصص وتقدر على حل
تضاياع ذات طبيعة اقليمية خاصة من حيث الجوهر ، قد
يغى الكثير من جوانبها على اية محكمة دولية اخرى تكون
مؤلفة عادة من قضاة ينتمون الى حضارات مختلفة ، والى
مناهج حقوقية متعددة ومتعارضة في غالب الاحيان .

ولا حاجة بنا الى القول بعد هذا ، بان قيام محكمة
العدل العربية سوف يكون ظاهرة صحية تؤكد مدى ترسخ
مفهوم المسؤولية الدولية في وجدان مجموعة الدول العربية ،

ان جئت لن استمهلك

بي راحبا ، لن اسالك
او ان جئت لن استمهلك
قليبي الذي لن يمهلك
اهلته ، لن يعذبك !

انذاك قلب اترعك
في صبرة ، ما ودعك
ايهنا ما امتعك
فهو لن يمضي معك

ومؤنس اضلعي
وفي الاسى ييكى معي
من زهره او ما اعى
بمد النوى من ادمي !

احمد عبد المجيد

يا ظالمى ان لم تكن
او غبت لن اتسلك
يا ما دعوت الى الهوى
فاهجر ، تر القلب الذي

انذاك منى يوم ان
ذوب الوفاء ولم يزل
فاذكرا اذا ما شئت من
واذهب ، ودع قلبي المقيد

نكر الهوى عطري واغراهي
القاه ريان الوفاء
احيا بما استغافه
من عهده او ما جرى

القاهرة

ARCHIVE

الدولي العريض ، الى مستوى الايمان بلغة العقل والمنطق وسيادة القانون ، لئلا تصبح القيم العلى التي روجت لها كل اديان العالم ، وكل حضاراته واخلاقه وتشريعاته ، عبارات انشائية برقة اللفظ باهنة المضمون ، او مومياة مخنطة تصلح لاروقة متلاف التاريخ .

وفي يقيننا ان كل ما اقترح ، وكل ما سيقترح في المستقبل من اجل ترسيخ فكرة المسؤولية ، وتكريس فعالية القضاء الدولي والاقليمي ، سوف يظل رهين الاقتراح الاهم والقاتل بضرورة اعتبار كل نزاع بين الدول نزاعا قانونيا ، الا اذا قررت محكمة العدل الدولية او اية محكمة اقليمية خلاف ذلك وبهذا تغفل الباب امام بهلوانية النزاعات السياسية التي تعرف جيدا كيف تطرح المشكلة ، لكنها تظل اغبي من ان تقدم خلا ملاتها للعدالة والمساواة في التعامل بين الدول ، واضعف من ان تعمق في الوجدان العالمي احساسه واهله بمسؤولياته وبوجوب اسهامه المضطرد في احترام القضاء الدولي ، وفي ترسيخ قواعد القانون الدولي للعالم .

الى اغتدة الدول من التواعد الدولية الحالية ،

٦ - انشاء محاكم جزائية دولية او غرف جزائية في المحاكم الاقليمية لمحاكمة من يرتكبون مخالفة او خرقا لاحكام القانون الدولي .

٧ - انشاء غرف اقليمية خاصة بالمخالفات والجرائم المتعلقة بحقوق الانسان .

٨ - انشاء محكمة لمعالجة الخلافات السياسية الدولية (١٤) .

خاتمة

وفي ختام هذه الدراسة السريعة ، نظن ان من البديهي القول بلا تناهي التزامات والخصومات الدولية ، وذلك نتيجة طبيعية ومنطقية لتضارب المصالح ، ولتباين الاهداف ولاغترار الدول الكبرى بقوتها وثروتها ولقلق الدول الصغرى على مصيرها في هذا المحيط الهائج المتج الذي ما يزال المجتمع الدولي يسمح فيه بقتل سياسة السمك الكبير والسمك الصغير ، كما ذكرنا غير مرة . لكن المهم ان يرتقي الوجدان الانساني في هذا المجتمع

(١٤) ورد هذا الاقتراح على لسان الانساني كارك وسوفن في كتابهما : « السلام العالمي عن طريق القانون الدولي » ص ١٧٥ - ١٨١ .

إذا كانت الدماء حقا غالية
 فالدموع أغلى •
 الدموع متعلقة بالجسد
 متصلة باللحم والدم •
 الدموع متعلقة بالروح
 متصلة بالجواهر غير المرئي من النفس والذات •
 يسيل الدم من كل جزء من الإنسان
 بلخصاس أو بدون احساس
 يسيل الدمع من العين فقط
 تدفعه احساسيس عدة ومشاهدة
 الدماء تلتصق

بدموعي لا بدمائي

الدموع تغسل
 سنك الدماء جريمة
 ذرف الدموع عبادة
 الدم مياه اختلطت فيها الأشياء
 الدموع ينبوع قنسي طهرت مآؤه
 واكتسب نقاوة لا يشوبها شائب
 بالدم يشيد الطفافة صروحا
 للاستعباد والطفيان
 بالدموع يقيم الرسل والأنبياء
 معبود المحبة والسلام في كل مكان
 إذا تحولت الدموع الى دماء
 ولد الجسد

©

ولكن الروح لا يولد
 الا اذا تحولت الدماء الى دموع
 الكراهية نقطة من الدم نائرة
 في سرايين الشيطان
 المحبة ديمة رائقة
 في مآقي الازل
 ولهذا كله صليت من اجلك مرتين
 واوقدت لك هذا الفجر شمعتين
 وذرفت شوقا وتوقا اليك
 دمعين !

الدكتور سهيل بشروني

الجامعة العربية في بيروت

لاكتب بالاولى اسمك
 وبالثانية اسمي
 ولكن الدمعتين اختلطتا
 وبدلا من الاسمين اكتبهما
 بهـ اصبعه
 وخط بحروف الدموع اسمه هو
 غقرات ما كتب
 وكانت كلمته التي لا تزول
 هي « المحبة » ! !

©

الريح الصحراوية تهب جافة ، عاتية ،
غوق الأهرام الرابضة ريوض الازل
في صحراء مصر . تنسف الزمائل التي
تنزلق من جوانبها لتتراكم على اقدام
ابي الهول ، كأنها تريد ان تنسج حوله
غشاء يرد عنه عواذي الزمن وتخلده
رمزا لخلود العقل .

في منبسط من الارض يمتد بين
القاهرة والأهرام ، انتشر الوف من
العمال ، المشمري الاوتاب حصى
الركب ، قد عصبوا رؤوسهم بمناديل
تقيهم لذع الشمس واكبوا فوق حجارة
يقطعونها او يصقلونها . يهبونهمسا
لترصف في الطريق الجديدة التي تصل
القاهرة بالأهرام .

عند منبسط تظله اشجار النخيل .
توقف بضعة عمال ليسمحوا العرق
عن جباههم ويتبللوا الحديث . ومد
أحدهم يده الى جيبه فأخرج منها
علبة تلك محشوة بالتبغ الخشن ،
أخذ منه تبيضة يحشو بها لفافة يرد
تخزينها ، لكنه أعاد العلبة فجاء الى
جيبه وعاد هو ورفاقه الى عملها
الشاق . ذلك لان الوكيل المطربش
يسر بجائتهم ، معقود الحاجبين ،
مستعدا لينتظر او ليشرب بالسوط كل
من تحدثه نفسه بالتوقف عن العمل
ولو لحظة من الزمن .

لكن الرفاق ، رغم هذا ، يجدون
مرصة للنهائس بما يجيش في صدورهم
من خواطر . لانهم لم يتعودوا ضبط
السننهم عن موضوع يثير اهتمامهم .
فأذا ابدع الوكيل وأبوا شره ، مالوا
الى الحديث بأصوات منخفضة وهم
يسننرون اللحظ الى ما حولهم .

— جاءت الاوامر بان نعمل ليل
نهار . لان الطريق يجب ان تنتهي في
ايام معدودة .
— أربعة ايام ؟

— أربعة او عشرة ... يجب ان
نفرغ منها في خلال ستة اسابيع .

كل هذا بالسخرة ...
— الأمير مستعجل جدا . لنفك
على بناء الطريق الوف الجنيهات التي
لم يملأ منها شيء .

— اتعرفون لماذا هذه السرعة ؟
لان الطريق يجب ان تنتهي قبل موعد
منح قناة السويس ، لكي يمر عليها
ملوك الفرنج في طريقهم الى الأهرام .
— نعم . اتسر عليها ملكة
الفرنسيس في عريتها الفخية .
— يقولون انها جميلة جدا .
— وماذا نستفيد نحن ؟ ايسمحون
لنا بمشاهدتها ؟
— لم لا ؟ والله ساسعد الى راس
الهرم لاراهنا ...

توقفت الاسن عن الحركة .
وانشغلت الايدي بالتطعيم والنحت .
لان الوكيل المطربش عاد من جولته :

الذي يبقى

بقلم روى غريب

بتمنح المسر ، معقود الحاجبين
مستعدا لترحس المطالبين وضربهم
بالسوط اذا اقتضى الامر .

في قصر عابدين كان الخديوي
اسماعيل متربعا فوق ديوان مكسو
بالحرير ، يدخلون غليون حشا بالتبغ
الفاخر ، يملئ اوامره على سكرتيره
الخاص الجالس على مقعد الى يمينه .
الامر مستدير الوجه ، مذهل
الجسم ، يتكلم وعينه نصف
مخفضتين . قصر اللحية ، يرتدي
الملابس الفرنجية ، لا يميزه عن ملوك
الفرنج سوى الطربوش التركي
القصر الذي يكسو راسه هبة ونبل .



— يجب تهينة القصر الجديد
باسرع وقت لضيافة خمسة آلاف من
عليه القوم .

— كل هذا جاهز يا مولاي ، اجاب
السكرتير .

— والاوبرا التي وضعها فردي ؟
— جاهزة للعرض . الممثلون
سيليسون مجوهرات كلفت عبدة
ملايين الجنيهات . ومنبرز القاهرة
بانهي رينة .

— والطريق الجديدة بين القاهرة
والأهرام لمرور العربات ؟
— أصبحت جاهزة كذلك .

— لا ننس ان نضيف تكاليف سفر
المدعوين ، ذهبنا وايضا ، الى تكاليف
اقامتهم .

— ستة آلاف ؟

— ستة آلاف .

— هذا يعني مبالغ طائلة من
الجنيهات .

— لا بأس . امامنا فرصة نادرة
نظهر فيها للسultan العثماني ان عزيز
مصر يستطيع ان يكون اعظم منحه
سخاء . اراد اذلالني بلقبه متواضع .
لقب « خديوي » ، لكنني سافهمه ان
العظمة ليست بالالقاء .

في هذه الانشاء كان فردينان
دوليسبس ، فاتح قناة السويس ،
منشغلا بتفقد القناة التي تقدر
تنشيتها في صباح السابع عشر من
توفمبر ١٨٦٩ برئاسة الامبراطورة
اوجني .

عشية ذلك اليوم شاع الخبر بان
مصرة سقطت في القناة ووقفت حاجزا
دون مرور السفن اي دون حفلة
التنشين . واكتشف فردينان ان
اثنين من آلات اختبار الحصى سقطتا
فوق صفور جائلة في القمر فاصبحتا
على مستوى يعرضهما للارتطام بسفن
المرور . اذ ذلك يكسر الرجل الى
تجبر العواجز بكبة من الديناميت
ونجح في اخلاء الطريق للسفن .

كان هذا خاتمة العقبات التي
جابهها واستطاع تذليلها طوال خمس
عشرة سنة . كافح خلالها لتحقيق

حلمه الكبير الذي قاومته دول أوروبا وعلى رأسها انكلترا . لأنها رأت في تزعم فرنسا لمشروع دولييس ديل انبعثت المطامع الفرنسية التي اوجدت حملة نابوليون بونابرت الى مصر . وقد نجحت انكلترا يومذاك في افشال الحملة وأرغام بونابرت على ترك مصر . فكيف تسمح الآن لابن أخيه بتجديد محاولته ؟

« احفروا قناة السويس تخلقوا ساحة حرب . القناة اخطر من مضيق السويسور » . هذا ما قاله أرنست رومان الفيلسوف الفرنسي محذرا قادة أوروبا . ومع هذا ، وعلى الرغم من المعاكسات التي لقيها المشروع ، استطاع دولييسبيس ان يكسب تأييد الأمير محمد سعيد وخلفه اسماعيل . وتمكن من تأليف شركة بحرية عابرة براس مال ضخم وبمساندة أوجني وواسطاهتا ، اصاب نابوليون الثالث الى راسمال الشركة أربعة وثمانين مليون فرنك تعويضا عن الغاء المسخرة بأمر السلطان العثماني الذي عارض المشروع . وطالعت معارضة السلطان . بتحريض من انكلترا ، مدة ثلاث عشرة سنة . لكنه رضي أخيرا باقرار امتياز الشركة وترك العمل يسير والسخرة تستأنف . وما هو صباح السابيع عشر من تشرين الثاني — نوفمبر — ١٨٦٩ ، يطل عليهم حللا بشائير النصر والفرح .

بدأ الاشراف والاميان الذين دماهم الخديوي ، يتوافدون واحدا بعد آخر ، وموكبا بعد موكب ، فوق سالت البنس الفرنسي ، الأمير توفيق ولي العهد المصري ، أمير ويلز الانكليزي ، وآخرون غيرهم ، جاءوا ليشهدوا هذا الحدث العجيب الذي أدى الى ازدهار مرغا بور سعيد وقيام مدينة الاسماعيلية ، واجتماع بحرين متعادين : الأحمر والمتوسط ، وربط ثلاث قارات .

قبل موعد تدشين القناة بيومين ، جرى انضمام البحرين في حفلة ترأسها

الخديوي . كانت مياه البحر الأحمر محجوزة وراء سد تقم في الطرف الأعلى من البحيرات المرة . وكان سد آخر على بعد كيلومتر يمنع مياه المتوسط من التدفق .

وقد غردنيان وقال : « منذ خمسة وثلاثين قرنا تنهقرت مياه البحر الأحمر بأمر موسى . واليوم بأمر حاكم مصر تعود المياه الى وضعها السابق » .

اعطى اسماعيل اشارة فانفتحت السدود وتدفقت مياه البحر الأحمر جارية في سهلها رمال الشط وما عليها من آلات . فهرع الرجال الى السد الشمالي يدفعونه ويهيمونه من هجوم المياه واكتساحها له . وفي لحظة اتحم البحران واستوت مياههما ببحر واحد .

قبل اليوم المعين لتدشين القناة ، اخذ المتفرجون يتدفقون من كل حطب وصوب لحضور الحفلة . اشترك وشر . اوكرانيون ويديو . نساء ورجال . هجانز واطفال . الوف من الاروبيين جاءوا حتى على ظهور منطحات لهم القتام ، وحلوا بشبابه اسماعيل . في منطحة بحيرة التمساح وحدها كل ثلاثون ألفا من المتفرجين ، بينهم خمسة آلاف في القصر الذي شيده اسماعيل لهذه المناسبة ، وهيا للضيوف الذين احتلوه خمس مئة من الطهارة وألفا من خدم المائدة .

القناة جاهزة لاستقبال الإمبراطورة اوجني في يخطها : « النسر » ، الذي ستعمر فيه القناة ، لأول مرة ، من جانب آخر ، مرة بالبحيرات المرة وبحيرة التمساح ، الى بور سعيد .

اكثر من ثمانين مركبا ، معظمها راكبا حربية ، وفي طليعتها راكبا الانكليز ، اجتمعت للقناة الإمبراطورة ، ولدى وصولها طلعت مدافع الفرع والترحيب .

كان الطقس جميلا ، الوف الاعلام تخفق فوق رؤوس الجواهر المختلفة الاعراق والازياء .

« لم أر في حياتي منظرا بهذا الروعة » قالت الإمبراطورة .

كان وراء الخديوي ، إمبراطور النمسا وأمبر هولنده وعدد كبير من الأمراء . وقف غردنيان بينهم ، يستعد لاستقبال نسيبته اوجني وقلبه يطغى سرورا . اوجني احب شخص اليه ، لا لأنها نسيبته ، ونصيرة مشروعه ، غصب ، بل لأنها امرأة كبيرة القلب ، نياضة الشموخ . سحرت قلوب اصداقائها وعارفيها بشخصيتها الفذة . حين مرورها باستانبول في طريقتها الى مصر ، نجحت بلبانتها في ازالة التوتر الذي ساد علاقة تركيا بمصر ، فاقام لها السلطان حفلة تكريم نادرة المثال ، دلت على الناصر الذي تركته في نفسه تلك الغالبة .

ليكن ان ينسى غردنيان فضله على مشروع القناة ؟ ابينى انها بذلت لاجله كل ما لديها من نفوذ لدى الإمبراطور ؟ كلها فكر هذا في التراجع كانت هي وراءه لنقول : « لا ! ... » لقد كانت هي المحرك لكل خطوة ايجابية خطاها نابوليون الثالث ولولاها لما كتب لمشروع القناة اي نجاح . لمن يكون احق منها بتدشين القناة ؟

بست الإمبراطورة بملابسها الحربية المزخرفة وحلاها التوهجة مثل إحدى سلطانات الف ليلة وليلة . لكن الجمال الذي شع من وجهها الملائكي وعنقها المكتشف وذراعيها البشتين كشف بريق الحلى وروعته الملابس . فلو لبست ثياب راعية لما كانت اثل فنته .

— اهتلك يا عزيزي ، قالت اوجني وهي تطلق الصليب الأحمر لوجوة الشرف على صدر دولييسبيس ، لقد حققت حلمك الباهر ، أصبحت محط انظار العالم . بلغت قمة المجد .

— بله الفخر اذكر غفلك على المشروع ، قال غردنيان .

— ما تمت به لا يستحق الذكر . — بالعكس . اما اننا فقد كنت منساقا الى علي يدافع لا يرد .

لحظة عمر

لم تشكو ان طال غراق
من بعد لقاء
لم يا دنياي وفي الدنيا
غيم وصفاء
ان جاد القرب بهورده
اسقيه واشرب من يده
او راح البعد ليطوبنا
فالفكرى كاس تحيينا
والحب جمال
يرسمه ظل وضياء

طيف مسحور
جمعنا بالامس نداء
وافاق الصبح يودعنا
في همس ضياء
اهلا بالامس يجمعنا
اهلا بالصبح يودعنا
والغد ان جاءت نسمة
او ضاع وضاعت بسمة
عالمنا اقتدار ، اسرار
والحب كياه

لطفي عبد الوهاب يحيى

يا لحظة عمر
تحملني فوق شجوني
يا موجة شوق
تدعمني نحو جنوني
لا تدعني العبر يسابقي
لا تدعني الشوق يفارقني
مالمعمر شجون وجنون
وانا مفتون مفتون
وانا احيا
والشوق حياة ترويني

يا حلم الامس
يماتقني خلف الايام
يسبقني نحو غدي
لحنا فوق الانعام
امضي عنه فيماودني
واعود الله يراودني
فالحلم هياه ملك يدي
وصباح يسطع في ظدي
وسواه سراب
اوامام بين الآوامام

جامعة الاسكندرية

عمرها منفية ، بجهولة ، كاية ابراة
عانية ، تجتر ذكريات الماضي وامجاده
الفاتمة . في وقت واحد ففقدت زوجها
وعرشها وحبها ومجدها .

وفي منفاها كتبت الى نسيبها
فوليسبس تقول :

« ففقدت كل شيء ، لكن امرا واحدا
يبعثني فزاء . هو اني بذلت كل ما
امكنني بذله في سبيل مشروع عظيم
يحصل الخير والمنفعة للبشرية . هذا
وحده الذي يبقى » .

روز غريب

احبت العظيمة والابنة اللتين طوق
بهما راسها ؟

سمعت اوجني وراء المجد ولكن ،
هل يوم المجد ؟

وهتف به صوت آخر من اعماق
نفسه : وهل يوم الحب ؟

لم يمض على تنشين القناة سنة
واحدة ، حتى اندلعت نار الحرب بين
فرنسا والماتيا ، فانهزم نابوليون الثالث
في حرب السبعين وانهار عرشه .
واضطرت الامبراطورة ان تهرب
مستخفية الى انكلترا حيث قفمت بقية

سيطر على الحلم واستعبدني ولاجله
ضحيات بكل شيء .

— لا نتم يا غردنيان . لا يستطيع
الانسان ان يحقق جميع امانيه . ولا
بد من تسحية بعضها في سبيل امنية
كبرى .

في المساء ، حين اوى غردنيان
الى مضجعه . اخذ يراجع في ذهنه
تول الامبراطورة . وخطر له السؤال :
بماذا فشت اوجني حين تزوجت
الامبراطور ؟ ألم يكن يرق المجد الذي
استهواها ؟ هل احبت الامبراطور ام

نم ايها الاعصار



نم - ايها الاعصار - قد ارفعني جسما ونفسا
نم - يا جنون - غانت قد ارفعني ذهنا وحسا
نم انها نامت .. وعاد رجالك المشهود ياسا
نامت والهبت اللظى في القلب يفرم منه جسا
نامت وقد حبست على الذكرى هموم النفس جسا
قد اغرغت كاسي ولما انتش .. فحطمت كاسا
وصحوت فانتشعت امان عشتها وهما وحدا
واذا بواقعي المريب اعيشه ادهى واقسى
ما لي وللايام تبشي بي مع الآمال عكسا
ما ان ارى ماء يرويني فتجعل منه ييسا
ضاقبت بي الدنيا . فلا عجب اذا ما ضقت نفسا
طفح الاناء ففاض الآمال وحرمتها وبؤسا
ليلى رهيب الظل . لم تطلع به الايام شسا
آسى انجهت ارى الهموم بجانبى - مفدى ومبسى
فظل تاكل مهجتي وتمضى نايبا وخرسا
الصبر .. هل يجدي وينفع من تصبر او تأسى
وصمدت حتى صرت اقوى من عواصفها وارسى
اجتر بقيا الذكريات بفيض في بنى انسا
واضيعة الانسان حين يضم في حنيبه حسا
ينسى فلا يبقى له الاسام من مناه اسسا
تجثت ما زرعت يدها فلا تبقى منه غرسا
يا ليت ما كان قد فهم الحياة ولا احسا
واضيعة العمر القمين تبعة الايلام بضسا

يا امسى .. يا حلمي اللذيذ .. ومن يرد علي امسا
يا نغمة العيش الهني تلك في الاسماع جرسا
يا لحظة العمر التي مرت .. ولكن ليس نسي
يا سحر عينيها . وقد اوجت حديث الحب حسا
لغة الميون وعيتها وحفظتها درسا خرسا
نظراتها ملئت حنايا زادها طهيرا وقدا
بحر عميق الفور لكفي به الغيت مرسى
ووجدت درسي فيه مفروش الخطى فلا وورسا
حلم رقيق الظل فيه قد حسنت السعد لسا
وقطفت من ثمراته ما طاب لي نينا وخرسا
تراقص الآمال من حولي كاتبي عشت عرسا

محمد جواد الغبان

بغداد - ص ١٠٣٨ ب

الترويح .. وإذا كان بالأمس من ملحة ودعاية ، أو زينة
مجلس ونقل شراب .. وإذا كان الأدب بالأمس مشعوذا ،
أو مهرجا ، أو مرفها ، أو ملهة ملهقة بالركب ، فقد أصبح
اليوم دليلا وهاديا وموجها .. لقد تطورت مفاهيم الأدب
بتطور الوعي ، وعظمت رسالة الأدب بمظم جدية الأمور
التي نعيش في خضمها اليوم .

وعاد الأدب رائدا للمجتمع ، وموجها للأمة ، يوقظها
من غمرتها ، ويضع في يدها سلاحها وإمام أعينها أهدافها
ثم يمنحها الروح والقوة والجلد والصبر ..

لم تعد وظيفة في الأمة أن يهددها ويغنيها الأغنيات
الناعمة حتى تطرب ، أو يقصر عليها الخرافات الحائلة
حتى تنام ..

بل تيقنه في هذه الآونة أن ينشدها الانغام النائرة ،
حتى تهب ، وأن يصرخ في آذانها حتى تثور على نفسها
وعلى معانيها ، وأن ينصب لها المشاعل الوهاجة على
الطريق حتى لا تضل ولن يقول لها بعد اليوم : نامي ولا
تبالئي الحياة ، وإهجمي هادئة مطمئنة ودعي الكسوف
يصليح من حولك . فمالك في دنيا الناس من نافة ولا
جمل .

ولكنه تائل لها : اعلمي واعلمي واعلمي ، حتى
تسويي ... إن اللباس جبيما يعملون ، ومن لا يعمل لا
يأكل ولا يمشي .. ولا يتقدم في كل لحظة خطوات ، ارتد
إلى الوراء ..

وتعددت لقاءاتي بفكر هذا الرائد العربي الواسع ،
فإذا بي أتلطف على مقالاته الأخرى في « الفتوة » عام ١٩٥٦
خاصة ، « الدراسات الأدبية المعاصرة » (٢) و « شعر من
نزار قباني » (٣) و « المسؤولية الثقافية للجامعة
العربية » (٤) .. ألفت بعد اطلاعي على هذه الدراسات
الهائلة القيمة أنني كنت في صحبة رجل ليس ككل الناس ،
لأته مفكر واع وكتب أصيل له ملاحج فكرية واضحة ..
أدركت أن الفقيه رضوان إبراهيم له رسالة .. هو مؤمن
بها ، وموجه إليها ، ومذموم إلى حياتها .. ويود أن يضي
في الطريق ليكمل المسيرة عن طريق القلم والحرف .

وجعنتني به الصدف ذات يوم بتونس في أيام انعقاد
المؤتمر التاسع لأدباء العرب (مارس ١٩٧٣) .. كان
الوقت مساء والجو منعشا .. حدث هذا بمناسبة حفل



رشيد الفزادي

رضوان إبراهيم كما عرفته

بقلم رشيد الفزادي

تعددت أن التي به من خلال دراساته وأبحاثه في معظم
مجلات الشرق مثل « الأدب » و « الآداب » و « الهلال »
و « العربي » و « الموقف الأدبي » ثم كان لقائي الثاني
معه في تونس وبالتحديد في شهر فيفري ١٩٥٦ ، عندما
نشر بجلطة « الفتوة » مقالته الشهيرة « رعاية الأدب » الذي
حدد فيه مهمة الأدب في الوطن العربي ودوره الواسع
المتجدد عبر السنين والأيام .

لمست في كتابات هذا الرجل روحا ملتهبة ، وتنوعا ،
وايمانا قلبيا يدفعه هدف كبير جعل عقله في خدمته .

تبين لي من خلال هذا الاتصال الفكري « برضوان
إبراهيم » أنه كاتب بكتار وأديب ملائمي وتلقح حصيف .

هو لا يكتب فيها يشتم منه الفسلفة ، أو مساغية
دغدغة الغرائز وتبليق الشهوات ، كما أنه لا يجري وراء
الكسب المادي ، أنه لزاوحد في كل ذلك ، ولكنه في بمسماه
كان يهتف إلى إعادة القارئ العربي ، وتوعيته ، وتعريفه
بماضي حضارته العربية .. ألم يقل في إحدى مقالاته :
« أصبحت مسؤولية الأدب العربي خطيرة إلى حد لم يمهده
من قبل .. فإذا كانت سبيله بالأمس التسجيل ، أو

- (١) مجلة « الفتوة » التونسية ، ع. ٤ ، ٢ (فيفري ١٩٥٦) .
- (٢) مجلة « الفتوة » ، ع. ٤ ، ٥ (ماي ١٩٥٦) .
- (٣) مجلة « الفتوة » ، ع. ٤ ، ٦ (جوان ١٩٥٦) .
- (٤) مجلة « الفتوة » ، ع. ٤ ، ٤ (أفريل ١٩٥٦) .

أغلبه « اتحد الكتاب التونسيين » بسزل « أفريقيا » ،
 تكريما للأديب العرب .. قدمني إليه الأديب أبو القاسم
 محمد كرو تاتال له : « أن الصديق رشيد له كتاب في المطبعة
 يحمل عنوان « رواد الإصلاح » وستحدث فيه عن جماعة
 من رواد الإصلاح مثل الأفغاني ، وعبد ، وبيرم الخامس ،
 وخير الدين التونسي ، وعبد الحميد بن بافيس .. وشد
 ببنيه على يدي .. قال انه يجذب كتابا من هذا النوع لانه
 تائر بحركة المصلحين كثيرا والتهم كل ما كتب حول هذا
 الموضوع ، كما عاشر الكثير من مريديه وما زال يحن الى
 الأماكن والأندية التي اعتاد ان يجلس فيها بالقاهرة كل
 من الأفغاني ، وعبد ، وسعد زغلول ، ورشيد رضا ،
 ومحب الدين الخطيب ، ومحمد فريد .. وفي أثناء حديثنا
 عن « العروة الوثقى » قال : « انها البذرة الأولى لمقاومة
 الاستعمار في شتى مظاهره ، كما جلبت على سياسة
 التغريب والتشويه والتزييف » . كما عرفني ببعض اصققاء
 محمد عبده الأوفياء له ونوه به كمنكر واع تحمل المشاق في
 سبيل مبادئه وعن صلاته بالتونسيين التي امتدت منذ زيارته
 الأولى لتونس فيما بين : (٦ ديسمبر ١٨٨٤ - هـ جاتني
 ١٨٨٥) ووعدني بالكتابة حول كتابي هذا حالما يتصل به
 وغلا وفي يومه وكتب فعلا عنه في مجلة « الفكر » عدد
 ماي ١٩٧٤ ، كما قدم بعض كتبي في ترابجه الأسبوعي
 الأدبي في « إذاعة الكويت » ونشر عليا بعض المقالات
 في مجلتي « الأديب » اللبنانية (ديسمبر ١٩٧٣)
 و « الصدى » التونسية : (ع ٦ : ١٧ جوان ١٩٧٤) .
 تفنينا حوالي الثلاث ساعات في هذه الجلسة الفكرية
 الممتعة وأمكنني فيها ان اتعرف عليه كشخص ، وكفكر ..
 وناقد ، وأنسان يحب البشر ويتالم للمتعبين منهم .
 هو يعمل بالحدى هيئات وزارة المالية والاقتصاد

اشتركوا في مجلة

الأديب

تساهموا في نشر الثقافة

والتجارة الخارجية بالقاهرة ، وهو يرأس « رابطة الادب
 الحديث » بها .. عاش فقيرا وذاق مرارة اليتيم ، وانهى
 تعليمه بالقاهرة واحرز على « الإجازة » في الآداب ، وعلى
 عدة شهادت عليا : في الآداب العربي المعاصر .. وفي اللغة
 الروسية .. وفي علم النفس .. وفي علوم التربية .

واستغل بتدريس الآداب ، وتنظيم المكتبات وله
 تجارب في الشعر الوجداني ، كما ألف عدة كتب منها :

(أ) مجموعة من « قصص الأطفال » .

(ب) مجموعة قصص « جراح شعبي » .

(ج) وكتبا تحمل عناوين :

« أزمة التعبير الأدبي » و « شعراء العرب المعاصرون »
 و « تفسير مقدمة ابن خلدون » .

(د) وترجم عن اللغة الروسية عدة مؤلفات هامة منها
 كتاب عن « الأدب التونسي » و « نظريات ابن خلدون »
 المطبوع بتونس عن (دار المغرب العربي) للمستشرق
 الروسية « سبيلانا بتسيفيا » ، استاذة اللغات الشرقية
 بجامعة لينينجراد والتي يعود لها الفضل في التعريف بابن
 خلدون في الاتحاد السوفييتي كمفكر عربي تلمذت عليه
 واعتمدت على نظرياته في الاجتماع والاقتصاد والسياسة
 والتاريخ .

ومن خلال حديثي معه تبين ان الرجل لا يحب الحديث
 عن نفسه ، لكنني أخرجه بأسلتي وانكسرت منه هذه
 المعلومات التي تبرز عصبية الرجل وجهاده الأدبي وما
 اسهم به في تفتية الفكر العربي في معظم مجالات الأدب
 بلوطن العربي وإذاعته خاصة في مذابيح « القاهرة »
 و « صوت العرب » و « الكويت » و « دمشق » و « العراق »
 و « الدوحة » و « الجزائر » .

وتحدثت اتصالاتي بهذا المفكر عن طريق المراسلة
 المستمرة او عند زيارتي له في القاهرة في سائفة ١٩٧٤ ..
 افرحت من خلال هذه المداينة أن هذا الفكر الصامبي ،
 الذي كافح الفقر والمظالم ، وهز بالانحباب وتحدي الصعاب ،
 لو اراد ان يلعب بالذهب لاستطاع ، ولكنه فضل العيش
 الشريف .. فضل ان يعيش صوفي الروح يخدم امته ،
 ويناضل في سبيل اصلتها بما استطاع .

افرحت انه يحمل في نفسه املا كبيرا لذلك سارع
 باقتحام الصعاب حتى لا يتنثر الشباب فيها او تكون حائلا
 بينه وبين مسار الامة الطبيعي وضياء المنار الخالد الذي
 اتلمه الاجداد طيلة أربعة عشر قرنا .

عاش الأستاذ رشوان ابراهيم طيلة حياته يكتب ..

جديدة في النقد الادبي لان النقد العربي لم تكن لهم وجهة علمية مدروسة او فلسفة واضحة فيما يكتبون من آراء نقدية ، طابعهم بلعان النظر في الاثر المنقود حتى لا تهم وسائل الهمم والتدعيم ، كما اوصاهم بعدم القسوة ، لان القسوة جارحة وقد تنفي العزائم عن الانتاج ، كما دعا الى التراجع في الاحكام حتى لا يمتد الطريق الشائك امام المتحرفين .

وهو يرى ان الكتب الصادق المؤمن المسؤول يجب الا ينحاز الى رأي او الى مبدء او شخص ، لان ذلك يفقد العمل الادبي قيمته في رأي الحق والتاريخ (٦) .

هو يطالب الكتاب دائما بالتزام الصديق والحق فيما يكتبون .. يتألمهم بالحققة ، ويتجنب السرعة والتزييف .. يؤكد في هذا الشأن :

« لا بد من العدالة ، وتبسيط احواء الضمير ووزن مصرير الاحكام امام التاريخ يوم ينصب لهذه الاقلام موازينه العادلة » (٧) .

هذه بعض آرائه نجدها في مقالاته ويحدثك عنها بلهجة رصينة هائلة وبروح انسانية رفيعة تفحص بسر اللبسات الرائعة في حديثه وكتابته .. تلاحظ في نبرات صوته وفي تعبيره في الرجل يحمل ملامح واضحة .. في الفكر .. في الجبهة .. في الكتابة .. في المزج بين مختلف التيارات الفكرية المعاصرة .. في الهدف الاكبر .. هدف الكاتب الاصيل الواعي والرجولة الحق .

ورغم مظهره المتواضع ولين طبعه ، تشعر اذا ما خلوت الى « رضوان ابراهيم » او تجاذبت معه اطراف الحديث انك امام رجل خير طبعه قد آمن برسالة وتعذب طويلا في سبيل حملها وتبليغها .

لقد كون شخصيته مرحلة مرحلة ليصبح كتابا مسؤولا يضيء الدروب ، ويضع المواهب ، ويفذي المشاعر .. رفض « رضوان ابراهيم » الادب المحض الذي يزيد في تخدير الشعوب واذا لها ، وترفع عن الكسب المادي ، وعن الرتب والالقاء الوهمية وظل يعمل قرابة نصف قرن من اجل تعميق المسئل العليا وتوضيح الفكر الاصيل ، الملهب للحاسيس والعواطف .. الهائف الى توعية الاجيال وخلق الرجولة فيها .

فتحية اليك ايها الصديق الاعز .. وليتبتلك الله برحمته وغفراته وليجزيك خير الجزاء .

وشيد النوادي

بنزرت - تونس

كتب في تجويد اللغة العربية وتناقلتها ، واشاد بالنفس العربي ، ويشر بالوحدة ، وتغنى بالبطولات ، وبأهسى بالمواعب الشابة ، وداعب بطله من قضايانا المصرية ، وخاصة قضية فلسطين ، وازمة المنتف العربي ، واشكال الشعر والقصة . ومن ايادي رضوان ابراهيم على تونس انه اخلص اليها .. اسد مجلاتها وصحفها « كالثقوة » و « الفكر » و « الصباح » و « الصدى » و « النفاة » بعيد البحوث طيلة عشرين عاما ، كما قدم الكثير من المؤلفات التونسية من طريق « اذاعة الكويت » مثل : « السد » و « حصاد قلم » و « دراسات » و « ادباء تونس » و « التوت المر » و « اعلام من بنزرت » و « الشعر التونسي المعاصر » .

وقد راسلني منذ بضعة اشهر طالبا مني ان امدده ببعض القصائد الشعرية للاستاذة : الهادي المبيدي ، ونور الدين صمود ، ومحمد العروسي المطوي ، واحمد القتيدي ومحمد صالح الجابري ، والهادي المدني ، وعبد العزيز قاسم ، والطاهر الحداد ، وسعيد ابو بكر ، والشاذلي خزنة دار .. وفعلنا انجزت طلبه وكلفت آخر رسالة مني اليه منذ شهر تقريبا راسلني على اثرها شاكرا ومعلما بان له دراسة عن « الشعر التونسي وبنايه » .

يمثل هذه الاممال الادبية الجادة كفي الامجاد رهوان ابراهيم يعبر من حبه لتونس ولثقافتها وفكرها وادبها .. وعنده ان الكتابة الاصيلية هي من انفس القنون ، وان الشعر الجيد سيبيى غذاء للروح ما دام للناس عواطف ومشاعر واحاسيس ، وان الفن الادبي الرائق سيظل الى الابد ممتعة للادهاان وبهجة للظوب رغم تنوع الروح العلمية .

ومن آرائه : انه لا بد ان تكون حزين من الدعوات الهداية المخيرة التي تريد ان تقطع صلاتنا بقرانا وبماشينا الحائل بالآثر ، كما كان يومى الكتاب بالشجاعة ، وطابعهم بالفناء في سبيل المبدأ والمقيدة ، ودعاهم الى الانقزام لكن دون الخروج عن المنعة الفنية الجمالية ، اذ لا استغناء عن اي واحد منها ، فهو يقول في هذا الشأن :

« ولا تعارض بين ان يكون الادب لنفسه وبين ان يكون للمجتمع ، فانه لا يحمل الى المجتمع شيئا ذا قيمة ما لم يكن ادبا ذا قيمة يرضي الذوق المرفه والحاسة الجمالية ثم يطلقها متفجرة تشر سبيل الحرية ، وتنسف العوائق ، وتسير بالانسان الى هدف نبيل » (٥) .

ومن دعواته انه ألح على تواجد مقاييس وانماط

(٥) مجلة « الثقافة » ، ع . ٤٠ ، (ماي ١٩٥٦) ، ص . ٢٩٩ .

(٦) المرجع السابق . (٧) نفس المصدر .



البدوي المثلث يعقوب العودات

البدوي المثلث في رسائله

بقلم عيسى فتوح

... « أما الدراسة التي تراودك عني ... نفع شكر على هذه العاطفة ، فانا انسان امقت الاضواء العامة ، ولأثر العزلة والاطواء هربا من الناس ، حتى انني قلت لغريتي : « عد موتي افضل الا يسر في نمشي الا افراد العائلة وبعض الاخوان ، وحذار ان تقيمي لسي ماتيا وهويلا ... أما حفلة التأبين فائني ايمتها ولنا تحت المطبق الثرى ! ... ان لي فلسفة خاصة قد لا يرضى عنها الكثيرون ممن نعيشهم ، وهذه الفلسفة ستكون زادي في العالم الغائي » . من رسالة بتاريخ ١٩٦٧/٩/٥ .

كانت سلتني بالمرحوم البدوي المثلث ، صلة الغاري المتتبع المتقصي ، بالاديب المنتج اثر ، يعطي بلا حساب . واذا كنت انني قرأت له ، اول ما قرأت ، كتابه عن « ابراهيم طوقان في وطنياته ووجدانياته » ثم كتاب « شاعر الطيارة - غوزي الملوغ » فاعجبت بهما ايما اعجاب ، وان كانت صفة الجمع هي الغالبة عليها ، وتبينت لو اتيتحت لي مراسلته . لأبته تقديري ... وانطوت الايام ، حتى كان عام ١٩٦٧ ، اذ تعرفت بالاديب والكتيب المسرحي الاب

اسطفان سالم (١) في اللافتية التي نقلت اليها لتدريس مادة اللغة العربية في مدارسها الثانوية ، وتونقت عرى الصداقة بيننا يوما بعد يوم ، حتى لا يكاد يمر يوم لا نلتقي فيه ونحدث في الادب وشؤونه ، والموسيقى التي يعتبر من اساطينها نالفا وتلحيننا وعزفا من الطراز الاول على الكتي الارفن والبيانو . وذات يوم اطلعتني على ما كتبه عنه البدوي المثلث في مجلة « الاديب » تحت عنوان « اعلام الفكر والادب في فلسطين » الا ان الترجمة التي وضعها له كانت مقتضبة جدا .

ابديت للأب سالم رغتي في التعرف على هذا « البدوي المثلث » بعد ان قرأت له اكثر من كتاب واحد ، فدفعت الي بعنوانه في عمان ، ونملا كتبت له اول رسالة بتاريخ ١٩٦٧/٤/٢٠ فاجابني قائلا :

« سرتني ان اطلق رسائلك الانيقة المورخة في ٢٠ الجاري ، وقد حز في نفسي ان احرم لقائك في حلب الشهباء ، عندما قصدتها في عيد الاضحى الفارط لأعود صديقي الاستاذ فتح الله الصلال بمناسبة مرضه .

وعلى ذكر هذا الصديق النبيل شرعت بعد ايامي من رياربه في المخطط لدراسة نظمي ، ينوي اخ الطرفين الاستاذ صمدالله يوركي حلاق اخراجها في عدد خاص من مجلة « السد » . وعلى كل ابق هذا النما مكتوبا ، ولا تكتب به للعزير عبدالله » .

قلت اني ما كنت من الاب سالم في مجلة الاديب كان مكتسبا جدا ، وعندما امحت لسه بذلك كتب لي يقول : « سرتني ان تكون ذا صلة بالاديب الاب اسطفان سالم ، وجوابا عن ملحوظتك ، فاني ارحب بفصل واف من سيافته ، اذا ما تعاونتبا على اعداده ، ولايته في احد الجزير المنوي ايداعها احد مطابع بيروت الكبرى .

وزيادة في الايضاح اطلبك بان موسومتي التاريخية المصورة « اعلام الفكر والادب في فلسطين » ستجيء في اربعة اجزاء متتالية ، وفي الوقت الحاضر ادي مادة للجزير الاول والثاني » .

لقد احب المرحوم البدوي المثلث مجلة الاديب وصاحبها الاستاذ البير ادب محبة جمة خالصة ، ولذلك كان يعمل لدعم هذه المجلة ماليا ومعنويا وادبيا بشتى الطرق ، وهو الذي سعى - مع نخبة من اصداقاته في الاردن - لتأليف لجنة اطلقت على نفسها « لجنة يوبيل الاديب » بمناسبة مرور خمسين وعشرين سنة على تأسيسها ، قامت بحجج المساعدات لها عندما كانت تجهز اقسى محنة مادية ،

(١) اصله من بلدة القاصرة في فلسطين ، وكان مديرا عاما للتأوية الارض المقدسة في اللاذقية .

مدينة حلب بالسيارة ، وعزمه على قضاء اشهر الصيف في
اوروپا للعلاج والاستجمام .

٤ - الأستاذ يوسف عبد الأحد هاتفتني قبل مدة من
عمان وكند لي قرب زيارتي في المنزل ، فرجبت به ، ولم
اشعره بانني طريح الفراش منذ ايامي من حلب ، وحتى
هذه الساعة لم يتصل بي يوسف ، ولا ادري اعاد الى
دمشق أم انه في ربوع الأردن .

اقتب عند هذا الحد ، وأرجو حمل سلامي الى الاب
الفاضل سالم ، وإلى الصديق القديم هارون ، ولك مني
خلص الشكر ، وموهور المودة ، المخلص . . يعقوب
العودات .

في ١٢/٥/١٩٦٧ رزقت بأول مولودة اسميتها « لينا »
فكتبت له ائنه النبا ناجباني بتاريخ ١٦٧/٦/١٩٦٧ يقول :

أخي الكريم « أبا لينا »

« ألف مبروك اطلالة « لينا » وأرجح تكون هذه أول
رسالة تتلقاها بكتيك ومنادك « بابي لينا » ، متعها الله
بالمساعدة في ذلك وظل السيدة والدتها ، وأراها أنراخا
من أخوتها ، وأطال في عمرك للأسة السيدة .

سهربران تتبلم نسخة كتابي « شكري شعبة » ،
وقد تلوح الأخ يوسف عبد الأحد بإصالتها اليك ، وهو في
طريق العودة الى مثر عمله . أمس فرغت من كتابي :
« قديم الصفا الأرائد الإنساني الكبير » ، ومن غوري
كتبت للأخ الأستاذ عبدالله يوركي حائق ليعلمني بالألام
حول موافاته بالكتاب في هذه الظروف ، أو التهاهل في ذلك .

تلقيت الساعة رسالة من الصديق وديع فلسطين ، وفيها
يعلمني بأنه قرأ في جريدة نعي الصديقين العزيزين نصر
سمعان الشاعر المهجري ، ويوسف اليازجي ، أحد مفاخر

في مطلع كل شهر

اطلوا

الايام

من الباعة والمكتبات

هدهتها بالتوقف . ولا اغالي اذا قلت ان مجلة الاديب كانت
شغله الشاغل ، وموضع اهتمامه الاول . كتب لي يقول :
« من فضل الله ان تحيء حصيله التبرعات التي قدمتها
لمجلة « الاديب » بمناسبة مرور ٢٥ سنة على صدور
اسمته ، وأود من سيادة الاب سالم ومثك مناصرة هذه
المجلة الرافية وتزويدها بمشتركيين افاضل يقدرون الادب .
نيدفعون بسدل الاشتراك دون تفكير وتكرير ... ومتى
وجنتها غنة قليلة من هذا النوع المثالي فلكتب مشكورين
للأستاذ البير اديب وعنوانه كذا ... وإلهنا اعطر
سلامي .

وأخيرا من حتي عليك ان اذكرك بالفصول الطلية
التي يسخر بها قلبك ، واقترح عليك حزبها في كتاب تزفه
للخزانة العربية ، ختابا اشرك على دموتك وأرجو ان
يتاح لنا اللقاء ، ولا تنس قدس الاب سالم ، والصديق
القديم الأستاذ توفيق نديم هارون في اللاذقية من سلامتي ،
والله أسأل ان يحفظك لمحبيك . . يعقوب العودات

كان رحمه الله لا يلقا يذكرني بقضيه مجلة الاديب
وضرورة الاهتمام بها في اللاذقية ، لذلك عاد لي رسالته
المؤرخة في ١٩٦٧/٥/٩ ليحتني مرة أخرى على العمل من
اجلها . وفي نهاية الرسالة ينقل لي بعض إثناء موسيوعته
« اعلام الفكر والادب في فلسطين » - إهداء صديقه معالي
الأستاذ فتح الله الصقال في حلب :

« أخي الأستاذ عيسى فتوح دبت بخير

سعدت هذا الصباح برسالتك المؤرخة في ٢ الجاري .
وردا عليها :

١ - اشركك على تطوعك لخدمة « الاديب » والمهم
يا أخي ليس « الكم » بل « الكيف » فخبسة من المشتركين
الذين يحترمون انفسهم ويؤفون بما عليهم ، خير من خمسين
مشتركا بهلوانها المهم في نظري نوعية المشتركين لا كثرتهم .
ولعل الاب الفاضل اسطفان سالم يولي هذه الناحية
اهتمامه ، فاهل مكة ادري بشعبها .

٢ - العمل الموسوعي الذي انشر بعض فصوله على
صفحات مجلة « الاديب » عمل خططت له تخطيطا علميا
هجاتيا ، فكيف انسئ الاديب الأستاذ نصري الجوزي (٢)
لقد بعثت بالفصل الخاص به الى قلم تحرير « الاديب »
برسم النشر .

٣ - تشير الرسالة التي تلقيتها قبل ايام من قرينة
معالي الأستاذ فتح الله الصقال الى خروجه بنزعة حول

(٢) كنت قد ذكرت له في رسالتي ان هذا الاديب يعين في دمشق
بمد لكة ١٩٨٠ ، وملا كتب عنه في الانب .

العروبة في المهجر . لقد يكتب هذين الاخوين المحبين
الذين مررت فيهما المروءة وسراوه المحتد .

اشكرك على الجهد الذي بذلته في سبيل « الاديب »
ودعمها بالمالدة ، ولعل الاب اسطفان سالم يكون عوناً لك
في هذا المضمار القومي ، وعلى ذكر الاب سالم بهذا فمعلتنا
بالفصل المتعلق به والمثوي « تهويته » وزيادته . اكتفي
بهذا القدر ، واكرر تهاني بريحانة القلوب « لنا » وأرجو
للاخ اللبيل وللفني الاسرة دوام الصحة والسعادة .
يعتقب العودات

بين رسالتيه المؤرختين في ٦٧/٦/٣ و ٦٧/٧/١٧
حدثت نكسة الخامس من حزيران . وما رافقتها من احوال ،
وكتبت قد اخبرته ان لي اخوين طبيين اشتركا فيها : الاول
في الجبهة الاردنية ، والثاني على خط النار في الجبهة
السورية ، وسلمنا بحمد الله بعدد ان اشيع ان الاول
— وهو طبيب عيون — اسر في اسرائيل ، ولكنه عاد ولم
يحدث شيء من هذا ، فكتب لي والام يعصر قلبه على
خسارة العرب عامة ، وخسارة مجلة الاديب خاصة ،
ثالثاً :

الاخ ابا لنا

« تلقيت الساعة رسالتك الرقيقة المؤرخة في ٢
الجاري فبادرت الى الرد عليها واتا في حرة من بنها
واختالمها ! احمد الله على سلامة شخصيتك ، ولست احسب
الاحوال التي عاشها هذا البلد لتدبر داهية ، ولصورتي
بقلبك الهلع الذي انتاب الناس المرز . وراس ما علمه
مدينة القرن العشرين من بربرية وحرق وترويع ! رحم الله
نوزي الملووف اللائل :

بيت عبرانه بلخر اجيا لا على البلاد في عبرانه !

سنظل يا اخي نعيش في دوامة التلق حتى يسود الحق
الباطل ، ويعود الى اهله .

الخسارة التي آلمت بمجلة الاديب من جراء تهويد
القطاع العربي الفلسطيني تنحدر ٣٠٠ ليرة سورية ، ولا
ادري كيف السبيل الى التعميم على الاستاذ البير ، واذ
اشكرك على دعمك هذه المجلة الرقيقة ، أرجو من الاديب
الجليل الاب اسطفان سالم ان يولي هذه الحقنة التي
اصابت « الاديب » اهتماماً خاصاً ، وان تنتفض بدورك
بتهوية (٢) الفصل الخاص بسيانته وتوافيني به على عجل .

قبل ايام وانيت الاخ الاستاذ عبدالله حلاق بكتابي
المخطوط « فتح الله الصقال الرائد الانساني الكبير » وبعد
ان تناهى خبره لمعالي الاستاذ الصقال طير لي البرقية

(٢) قمت عملاً « تهوية » الفصل الذي كتبه عنه وراسلته له ،
لكنه لم ينشر ، ولعله ما يزال محفوظاً بين أوراقه المخطوطة وقد أكد لي
وصوله في آخر رسالة كتبها لي .

الثالية « اطلعت على مؤلفكم الرائع عني ، غائر في نفسي
تأثراً بليغاً اراق مداسي ، واثار امجاني بوفائكم المكين
الصادق ، تمكك شاعر مجتبي وتقديري ، اشكر لكم اجزل
الشكر ، وأرجو من المولى ان يكافئكم عني ومن الادب
والتاريخ والصداقة الحق ، وان يديمكم واسرتمك الغالية .
وبمناسبة سفري الى سويسرا لنلتقي بمعالجي استودعكم
الله وابتمنك اطيب التحيات والاشواق .

اكتفي بهذا القدر ، وأرجو ابلاغ القرينة تحيات ام
خالد وسلامي مشفوعاً بلثمي وجنتي « لنا » ريحانة
القلوب « . يعقوب العودات

لم تكن لتقوت المرحوم يعقوب العودات مناسبة دون
ان يجيل قلبه فيها من ولادة ، او موت ، او تنصر الخ ...
ولذلك كتب لي بعد ان جرت حفلة تنصر ابنتي الكبرى
يقول : « اخي ابا لنا

تحيت من قلب وبعد ، اليوم اطلت على رسالتك
الانيقة المؤرخة في ١٩٦٧/٩/١١ فقابلت اخبارها بالغبطة ،
وبادرت الى التبريك بتنصر ريحانة القلوب « لنا » بمنبها
لها العمر الطويل في ظلال والديها العزيزين ، ثم يخبرني
عن زيارته دمشق والتائه بصديقه القديم يوسف الصارمي :

اقتضت ظروف القاهرة بسفري الى دمشق وبيروت
لاعود في الاولى مديق الاغتراب الاستاذ يوسف الصارمي
صاحب مجلة « المواجه » التي كانت تصدر في « بونس
ايريس » و « داف » « صانته » (٤) الذي عاد قبل علمي الى
دمشق واقتضت فيها مع افراد اسرته واصيب بفالج نصلي .
ونظراً لما اكنه لهذا المغترب الاديب من ود واحترام قررت
السفر الى دمشق ظهر ١٩٦٧/٨/٢١ لزيارة هذا الاخ
الغالي بعد غياب ١٥ عاماً . وكما اتمنى لو عرفت هذا
الانسان (٥) الطيب القلب من كتب ! ، وهذه الظروف نفسها
تقضي باستئناف السفر الى بيروت لاعود صديقتي معالي
الاستاذ فتح الله الصقال ، اذ تناهى الي انه عندي عاد من
« جنيف » الى مطار بيروت ، زلت به قدم فاصيبت ساقه
بشظي حمله على دخول المستشفى ، لهذا عولت على
السفر لبيروت لاعود معاليه .

وتدل رسائل الاخ الاستاذ عبدالله يوريكي حلاق على
ان مطبع « الضاد » انجزت طبع نصف كتابي « فتح الله
الصقال : الرائد الانساني الكبير » وفي نهاية ابول الجاري
ستفرغ من طباعته وتجليده .

ان القسم المشترك الاعظم لرسائل المرحوم البديوي
الملمم كان مجلة الاديب التي ظل حتى اللحظات الاخيرة من

(٤) يريد ان يقول « كرهوليا » مسقط راس الصارمي وهي قرية
من قرى صانينا .

(٥) الواقع انني كنت اعرف هذا الاديب قبل رسالته ، وقد كتبت
عنه مرتين في محلي « المعركة » و « الثقافة » دمشق .

حياته يعمل جاهدا لدفعها ، والترويج لها ، وإن لم تكن بحاجة إلى الترويج بقدر ما هي بحاجة للدعم المادي ، وهذه شهادة صديق أرمني لي وله هو الأخ الأديب عيسى الناعوري الذي كتب لي بتاريخ ١٩٧١/١٠/٥ وبعد وفاته البدوي المثلث يقول :

« الحقيقة أن خسارة مجلة « الأديب » بؤفة العودات كانت أكبر من خسارة الكثيرين غيرها ، فقد كان يعقوب ، في السنوات الأربع الماضية يجمع لها من الانتصار والتبرعات ما لم يجمعه لها انسان آخر . وفي عام يوويل الأديب كان له أكبر الفضل في انشاء « لجنة تكريم الأديب » في الأردن ، وأكبر الفضل في جمع مبلغ ١٣٠٠ دينار أردني وأرسالها إلى الأديب . وفي العام التالي كذلك مضى يجمع لها المال والإشتراكات ، وتسنى له — بفضل صدقاته العديدة في الأردن والخارج — أن يجمع بضع مئات أخرى ، واستمر في توفير الاشتراكات لها بعد ذلك حتى وفاته » .

لقد نال للجنة المالية التي ألت بالأديب لذلك كتب لي بتاريخ ١٩٦٧/٩/١٥ يقول : « أحزني الظرف القاسي الذي تبوءه مجلة « الأديب » ، وبالرغم من ظروف التكلفة الثانية ، فقد استطعنا جمع بعض المال لتتمكن هذه الصحيفة الشريفة من مواصلة الصدور . وبارك الله في هبتك وجزاك عن الأديب خير الجزاء وأطيبه .

أجزاء موسوعي الفلسطينية تتراوح بين ٦ — ٨ أجزاء ، ولولا التكلفة التي تلبت الإمبراسلر على عتب لهم نتايل اللجنة التي تتبني طبع الأجزاء — وبها نحن نعتظر تحسن الظروف . سلم على القرينة والأب اسطفان سلام الله يحفظك لقادر أدبك » . يعقوب العودات

عمان في ١٩٦٧/١٠/١٣

« أخي الأستاذ عيسى

ظهر البارحة عدت من زيارة لبنان مارا بدمشق ، ولم انس خلال الليلة التي أمضيتها في جلق المرور بالشقيق الدكتور جوزيف — على الواقع — والمسؤال منك وإبلاغك عطر تحياتي وهناك حصل لي شرف لقاء الوالدة الفاضلة .

بين الرسائل التي ورفنتي رسالتك الطليقة المؤرخة في ١٩ الفارط ، وقد جاءت طليقة بأخبارك السارة . سرتي أن تكون عسى صلة بالصديق القديم الأستاذ يوسف الصارمي ، وحيدا لو زرتك كلها بلغت دمشق ، وحملت إليه قبلاي وسلاماتي ، فالصارمي يا أخي كالتقطع الفادر !

هائت الأخ الأستاذ حلاق غوامتي إلى بيروت ، وكنا معا في زيارة الصديقين الاستاذين الصقل وسوي الجبل الحبيبين في المستشفى الألماني ببيروت ، وفي استقبالس الصديق الأستاذ غارس الدينبي القادم من البرازيل ، وبعد أن أمضينا معا مدة ثلاثة أيام عاد كل منا إلى مقر عمله ، وقد علمت من الأخ عبدالله بفراغه من طباعة كتابي عن الأستاذ الصقل ، وبعد اسبوع من تاريخه سيفرغ من

حزبه وتجليده والشروع في توزيعه ، وبالطبع سيكون اسمك في الطليقة ، ولود أن ألق على رايك في هذا الجهد المتواضع لأشهره على صفحات « الأديب » وعلى ذكر « الأديب » ذكرتك كثيرا لدى الأخ الأستاذ البير وأطريت أدبك الرفيع وخلقت السامي .

أعلمني سيادة الأب سالم بتمبره ببيلغ خمسين ليرة سورية لمجلة « الأديب » وتفضل سيادته بإرسال المبلغ إلى صاحبه مع رسول أمين ، من الله في عمره وأجل له الثواب والجزاء .

أعزني إذا وقف القلم عند هذا الحد ، إذ أن علي ردودا على عشرات من الرسائل التي تلقاها « خالد » وأبوه في الإجازة . سلم على القرينة وأسلم لحبك » . يعقوب العودات

عمان — الأردن في ١٩٦٧/١٠/٢١

« الأخ العزيز الأستاذ فتوح

تحيات من قلب وبعد ، حالما عدت من إجازتي وأطلعت على رسالتك الأخيرة أجبنت غورا وعرجت على ذكر زيارتي الخلطلة للأخ الدكتور جوزيف ، لكن مصلحة البريد في اللاذقية أعادت الرسالة وعليها عبارة « مجهول العنوان » فأحزنت أمني لم أذكر على غلاف الرسالة عبارة « المشروع الثاني » فتداركت هذا السهو ، وعدت إلى أيداع هذه التكملة والرسالة « النائية » بريد صيان بامسك . مشاغلي لا تكسب وكال ما أرجوه منك ومن الأب العالم اسطفان سالم الميلا من الجلي » المخلص يعقوب العودات .

عمان — الأردن في ١٩٦٧/١٢/١

« أخي الأستاذ عيسى نفعنا الله بعلمك ووعيك

تحيات من قلب وبعد ، بين يدي الساعة رسالتك المؤرخة في ٢٩ الفارط ، وقد سرتي وجودك والقرينة الفاضلة والطفلة الغالية في غمرة من الصحة والسعادة . لكن اسفت لأتدائم على شراء جهاز التلفزيون ، هذا الجهاز الذي تمقته آلاف العائلات في أميركا لأنه كان سببا رئيسيا في رسوب أبنائها ، وانصرافهم عن حروسهم . أنني يا عيسى أميل إلى الهدوء والطمالة السامية ، وأبمت للجلابة والصعب ، والصور المتحركة ! .

ما زلت بانتظار النسخ التي طلبتها من الأخ الأستاذ عبدالله حلاق من كتابي من الأستاذ الصقل ، ولعلي ألقى رايك فيه ، كما أرجو أن نتملأون والأخ الأديب الأب اسطفان سلام على سبك الفصل الخاص بسيادته وموافاتي بهه بالبريد المسجل . سلم على القرينة العزيزة والأخ الدكتور جوزيف عند الكتابة إليه ، وتقبل والأخت القرينة تحيات أم خالد ومودة المعجب بشخصك ، الفخور بأدبك » . يعقوب العودات .

عيسى فتوح

دمشق



نقولا يوسف

مع فقيه الادب نقولا يوسف

بقلم رياض منصور

عقدت الدهشة لساني ، ولما الحزن قلبي . عندما علمت في مكتب « مجلة الاديب » انه مضى اكثر من عام على وفاة صديقي الاديب الكبير الاستاذ نقولا يوسف . هكذا يموت الاعلام ... هكذا يموت الادباء الكبار في بلادنا العربية . في صمت يذهبون ودون ان نسمع خالصا والمجلات والاذاعات العربية والرأي شعلها وما يزال موت المغني الفنان ميد الحليم حافظ ... واجهزة الاعلام هذه بكليلها لم تعرف وعن طريقها ولو خبرا سفيرا عن الاديب الكبير الذي قضى عمره في الكتابة والتأليف وترك للعربية اكثر من ثلاثين مؤلفا في القصة والرواية والدراسة الادبية منها ما نشر ومنها ما يزال مخطوطا بانتظار النشر .

نقولا يوسف هذا الكبير في ادبه ... الكبير في صداقاته ... الكبير في اخلاقه ... الكبير في وفائه ... يضي هكذا مجهولا وكما يضي اكثر الادباء غريبا عن الوطن وعن الديار ... لا كلمة ، لا همسة ، ولا اذاعة ولا تلفزيون ... لم يتحرك احد للاشادة بأعماله الفضة ومؤلفاته الغزيرة ... غزواته « الهام » التي كتبها في لوج الشباب ... لم اجد عند دراسة الرواية في مصر من يشير الى هذا العمل الحار والذي معتر من اسس الرواية المصرية القوية عمقا واسلوبا ودراسة . ومن مجموعاته

القصصية التي تطف باعدادها الي : « هم وهن » و « مع الناس » وهي الى جانب كامل كتبه حديرة بالدراسة والتعمق والتعليق .

امتدت معرفتي بالاديب الكبير الى سنوات خلت .. كنا نراسل دائما .. ولقد كان رحمه الله شغلة وفساء واريحيه ومحمه .. كان يهديني مؤلفاته ويسألني عن الادب والادباء في مدينتي اللاذقية عروس الساحل . وكنت اوافيه ببعض مؤلفات الادباء اللاذقيين .

اهديه عام ١٩٦٩ مجموعة قصصي « اشباح المدينة » فكتب لي رسالة بتاريخ ١٩٦٩/١١/٩ وبها يقول : « تلقت رسالتكم الرقيقة ووصلت الي بعدها مجموعتك القصصية الجديدة » اشباح المدينة » ويبدو ان المجموعة سهلت في طريقها الي قسبتها الرسالة عشرة ايام ! - بينما كنت في طريقي الى القاهرة .. فصبحتها معي عملا بالقول المتأثر : « سل عن الرقيق قبل الطريق » ...

وهكذا قدر لهذه المجموعة الحساء ان تزرع الفساء - من اللاذقية الى الاسكندرية - ثم الى القاهرة المعزية - لتعود الى شاطئ السكينة وتعيش مع اشباح المدينة .. وهناك ارجو ان اجمع اشئان نفسي ، وابدي لكم رأيي - ما نهم نرون في مثل هذا الرأي قيمة .

وكنت قد اطلعت على اقتوصحتكم اللطيفة بمجلة « الاديب » عدد تشرين اول الماضي ... واعتقد انني كشفت في هذه الاقاصيص عامة عن قاص غنان موهوب ، دقيق الملاحظة : جميل الاسلوب ...

تألي لقاء عزيزي - يا اخي الاديب - راجيا ان ارسل اليكم ما يتبع الى بن كتبي

وتأملت على مدى السنين رسائله وكتبه ومعلباته في عيدي الفطر والاضحى . وكانت الصور المهداة في الاعياد ليست من الصور التقليدية المعروفة ، وانما صور تجمع باقة من قلادة الادب والفكر وتمثل الفتيق في جلسات مع طسه حسين ، وتوفيق الحكيم ، ومحمود تيمور وصديق شيبوب وهلال ناجي وغيرهم .. وكنت اعتبر ان الاعياد التي اعيد بها يمثل هذه الصور الثينة هي اعياد العرب اجمعين ولا فرق بين طلائفة وطلانة وعيد وآخر ... ولا ادري كيف عرف مؤخرًا متوفق عن ارسل هذه الصور بمناسبة الاعياد وانما ضمن رسائله القيمة التي كانت مصطنعي نياحا ...

وكنت ارسل اليه مؤلفات بعض الادباء اللاذقيين وفي احدى رسائله المرسلة الي بتاريخ ١٩٧٠/١٠/٢٠ يقول في احدى فقراتها : « جاعتي عن طريقكم المجموعة القصصية التي دبجتها يراعة الاستاذ القصاص عياداه عيد بعنوان « بات المنقش » وكتبت اليه على عنوانكم شكرا مصله ... وفي الشهر الماضي تسلمت ديوان « ازهار » للشاعر الفنان منير سليمان وبعثت اليه اخرا خطابا ... كما ارسلت اليه والى الاستاذ القصاص عياداه عسدا

مجموعتي القصصية « هم وهن » — مجادلة روحية
نذكرية — أرجو أن تكون قد وصلت جميعا سالة ...

ومع ذلك — اعترف بتقصيري المزود نحو هذه
المؤلفات القيمة سواء في الرد السريع على كل منها — أم
بالتكاتب عنها في إحدى الصحف العربية — وعذري الذي
أحاول تقديمه : تلك الظروف ... ومذاعبات الشيوخ ...
والمآسي القومية والشخصية ... ثم ما كلفت به من وضع
مؤلف من « اعلام ديباط » بسقط رأسي وكنت قد قدمت
كتابا من « اعلام من الاسكندرية » وضمنت الى ترجمتي
— ابني اللاذقية — الراحلين صديق و خليل شبيب لاقامتهما
الطويلة في الاسكندرية ... وكما اود ان تقوموا مشكورين
بنشر كتاب من « اعلام اللاذقية » — لنزداد جميعا معرفة
بحياة ادبائها ومجاهدتها العاملين ، وبآثارهم واعمالهم
اجميين ... ومنهم « الشيبوبين » الكبريين واللاذقية
مخينتهما حيث ولدا ...

وكثيرا ما يخفف عني ما اقراء لكم وعنكم بين الحين
والحين في مجلة الاديب البيروتية ثم انتحرك للكتابة ...
ثم انكس ... »

ولا استطيع ان اقول الا القليل من رسائل المودة
والاخلاص ، واكثر هذه الرسائل تتحدث عن القيد الي
ارسالها اليه دائما ولكنني احاول ان اعطي قدر استطاع
بعض ما جاء بهذه الرسائل مما يعطي صورة واضحة عن
الاديب الكبير الذي كان في التواضع « وجه النصيحة »
التشاطر رغم الشيوخوخة ، وجه الاخلاص ...

بتاريخ ١٢/٣/١٩٧١ كتب لي يقول : « بلغت هذا
الاسبوع رسالتكم ومعها مسرحية الاسفك مصطفى الحلاح
« احتفال لهلي خاص لدريسن » — وشعرت في مطالعتها
بعد تراءة مقدمتها التحليلية البديعة التي كتبها الاديب
حنا مينه ...

فارجو قبول شكري الجزيل على اهداء هذه التحفة
الادبية الي ... وما سبقها من مؤلفات قصصية وشعرية
بافلام الادباء اللاذقيين الذين ازددت بهم بفضل معرفة
وتقدير ... وكنت خير عامل على توثيق عرى المودة بين
النفرين العربيين الجميلين — اللاذقية والاسكندرية — .
والى ان افرغ لفرس هذه المؤلفات القيمة — ويقدري
الله على الكتابة عنها والتنويه بها هي جديرة به من تقدير
وتقييم ، فقد ارسلت منذ يومين الي « بريد الاديب » البيروتي
كلمة بعنوان : « تحية من الاسكندرية الى ادباء اللاذقية » —
تصدت بها ان تكون مقدمة موجزة عامة لدراسة شاملة
خاصة ان سمح الاجل ... »

ولقد نشرت هذه التحية في عدد مايو من الاديب
لعام ١٩٧١ .

وكتبت له في إحدى رسائلي اشكو لوعة فراق من
نحب . فكتب لي جوابا مطولا وبه يقول : « ... انك اعلم
يا اخي العزيز باننا على سفر من هذا العالم الارضي

المضطرب . نودع بعضنا بعضا — على لقاء في عالم آخر
اكثر سلاسا وبهاء ... ولكنك غراق الاحباء مما يحطم
قلوبنا ... ومرض الاعزاء ما يهد توانا — وليس امامنا
الا الايمان ... والمجد ... والتسليم بالاحزان ...

كثرت رسالتكم املي طوال هذه الايام الماضية — تكرر
سراعا متسلسلة عابسة ... وانا اجد في الاجابة والرد ...
وفي ارسال برقيات النعزية الى اهل الاصقاء والزلاء
الراحلين تباعا من تنعيم الينا صفحة الوفيات بجريدة
الاهرام كل صباح ... وانا انتقوتع مقاوما تقبلات الطقس
وموجات البرد ، ونوات امشير — ووعكلت الشيوخوخة ،
وبلايا الحياة الدنيا ... الهو بخيف القراءات وانبياء
الصحف وكلام المجلات — عاجزا عن حمل القلم المتجدد ،
والقيام نحو الاعزاء الاوفياء بالواجبات ... كما ان لدي
اكثر من عشرة مخطوطات تحتاج الى بعض المراجعة
والتنبيض — منها ما اعد في الاربعمينات ومنها ما اعد بعدها
تدريجيا — وقد يعود اهابها — عدا الشيوخوخة — الى
نشرة « الحوافر » و « الدوافع » التي تحركها من
مكانها ... »

اما آخر رسالة من الغيد بعثها الي فسي اطول
الرسائل جميعا يحرفني بها على الكتابة والتأليف وبطاليني
بطبع كتبي المهمة قبل ان تتركني الشيوخوخة ويدعوني
للكتابة عن صديق فقتنا غيقول : « حزنتم على فقد الصديق
الشابير الشهاب في سليمان في حادث سيارة يرحمه الله
ويحزن الينا يا انني لسم ارق قط ولم اعرفه الا عن
طريقك ... ليتك تكتب للقاء في « بريد الاديب » ولو نصف
صفحة (مؤقنا) عن حياته واعماله للذكرى ...

لقد فقتنا في هذه الاعوام الاخيرة عددا كبيرا من ادباء
العربية الشيوخ والشباب — وهي خسارة يؤسف لها —
وعزاؤنا ان الكتاب والشعراء يتابعون الحديث عن ماترهم
وترانهم .

لقد انتهت في ١٢ مارس الماضي سبعة عا من
عمري اي (بلغت من العمر اربله) كما يقولون — ومع
ذلك احمد الله ، ما زلت اسير على قدمي والتقي
بالاصفاء ... واواصل قراءة الصحف والمجلات
والكتب ... وان كنت فقتت الليل الى الكتابة والتعبير ...
وعجزت عن تلبية نداء الاصقاء من محرري الصحف
والمجلات ... والرد على المراسلات والمكاتبات ورتكت
موسدات عشرات المقالات والمؤلفات معرضة للتلف
والفناء ... »

هذا مقطع آخر ومن آخر رسالة خطها لي بقلمه
المرهف صديقي الاديب الكبير نقولا يوسف قبل ان يودعنا
الوداع الاخير ... ولقد عرفته من خلال ما تصبه للمكتبة
العربية من آثار قيمة ومن خلال رسائله الطافحة بالمشاعر
النبيلة ، والوفاء القادر ، والتعذيب الرفيع ... وكما يطيب

راحلة

يا حبيباً لم يزل بين ضلوعي
ليس لي غيرك ، يا روح فؤادي
يا لعين نوبتي .. يا لوجه
نرحلن الليل ، والنار بجنبني
كيف يا سارقة العمر اغني
منك ضاء الكون يا فتنة كوني

* * *

ابحر الزهر باضواء التسموع
رمشك الإعذب ، يا نجم سطوعي
بين هديك أيا حلوة جوعي
بالتراويل التي أجبرت دموعي
هل تقوسن على عطري الصريع
وانكريني جرة بين الضلوع !

مراكش - المدينة

ص.ب ٦١

آيت وارهام احمد بلحاج

نباضاً بها تحويه من عمق وأصاله ورهافة أحساس ،
وهي جديرة بالدراسة الواعية والتمعق الصحيح .
وسنذكر دائماً أن صديقنا الراحل كان إنساناً كريماً
وإنساناً مرهناً وقارئاً منزهاً ، وصديقاً صدوقاً ...
لقد مضى نقولاً يوسف وبقيت ذكراه حية في نفوسنا
وقلوبنا إلى الأبد .

رياض منصور

اللاقيّة

لي ان تسارع وزارة الثقافة في مصر الى اصدار كتابه
المخطوطة والى اعادة طبع كتبه المفقودة من المكتبات مع
كامل تراثه الثر ... وان يسارع ابناء العالم العربي الى
اعطاء دراسات شاملة عن الفتيق الكبير ... ولعلني بما
اعطيته من ايجاز عن رحلة الصداقة بيني وبينه قد قدمت
ولو شيئاً ضئيلاً من الوفاء للاديب الراحل . وقد امود في
المستقبل القريب لدراسة ادبه والكتابة عن بعض مؤلفاته
التي اهداها لي في حياته وهي غزيرة المبنى والمعنى ،

الشاعر اسماعيل عامود

بقلم عبد الكريم نندي

يتابع الشاعر اسماعيل عامود رحلة الصيف بجهد متصل لم تنفّر خلالها الهمّة عن مكابدة آلام الإبداع ، وعذابات التغرب فيها . وإن ظلّ متردداً بعض الوقت في انطلاقاته الشعرية بين الشكل المرسل والمقيد ، فمرّد ذلك إلى البداية العصامية التي عرّجت طريقه في حقل المعرفة والأدب . ومنذ ربع قرن وهو يكتب الشعر وينشره على الفاس فوق صحائف الدوريات الأدبية والمنابر سواء في دمشق أو بيروت . وقد طرح حتى الآن خمس مجموعات شعرية هي :

- من أغاني الرحيل نشره عام ١٩٥٩
- كآبة نشره عام ١٩٦٠
- التسكع والمطر نشره عام ١٩٦٢
- أغنية للأرصفة البالية نشره عام ١٩٧٢
- أشعار من أجل الصيف نشره عام ١٩٧٧

وإذا كانت رحلة الصيف عند العرب الإقديس ، رحلة البيع والشراء والسياحة ، فهي عند شاعرنا رحلة الحلم والحزن والهوى . مهاجس الترحال ضارب في غسور أحاسيسه ، إذ ولد في بيت مرتحل بحكم وطيفة والده ، لا يستقر به الخيام طويلاً . ولا تالفه الجفاعة . وكان هذا الترحال في الأقاليم قد غرس في وجدان جوال الانغراس في وحس الزمن ، فكان مزمراً في غربته الدائبة . والسجوال نوله الذي ينسج عليه خيوط بيرقه الشعري في رحلة الصيف على المدى ، مذ نظم الشعر أول مرة وراح ينشده أمام ضيوف والده حيناً ، وبين أترابه أغلب الأحيان :

« حبيبي .. تم بنا نهي
بجو الحب طيرين
هجرنا الأرض للناس
وهذا العالم القاسي
معيدين بعينين .. »

و « أشعار من أجل الصيف » ليست سوى خواطره التي ارتفعها أحساساً بالمفارقات القائمة بين الكثر والممكن . وشرّاه إلى العالم الفسيح عبر بوابة الخيال المطلق وجنوح الشاعر إلى العالم السحري لم يغرب صورة عين بالوف القاريء العربي . وظلت صورته الشعرية مشدودة إلى واقعه الذي تهرب منه على جناح حلم اليقظة ، حيث السعادة والهناء مسورة بالرغبة الفردية في تجاوز آلام الواقع . والوصول إلى عالم سعيد . بلا مشكلات ترهق القلب والفكر معاً . عندما يقلب الإنسان في جوهرها عقله .

فمشكلات الواقع من حول الشاعر هي وليدة خلل

فكري في البناء الاجتماعي القوي .. وممارسة مشوهة على الأرض . والصور الشعرية عند اسماعيل عامود لم تمارج بين جروح أحلامه ، وواقعه القائم غطلت على مدى الرحلة بعيدة عن الغربة في عين القاريء ، ولم تكن تبهره أيضاً لأنها حافظت على انزياحها الأدبي وفق منهج البلاغة العربية . وجودها دائماً في الواقع ، لا تنفجر العلاقات بين الحدود من اللاشعور بقدر ما تنامي إلى الطلو المتكون من دوائر أحلام الشاعر .. :

« أينها السواقي المترتبة في المنحدرات

صيفي يرتضي عن الأعالي معرا بترابه ،

بشحوه .. وبأحزانه

انه ينتهي في آخر الوديان

ولئن أينها القبرات فوق الأعشاب الحاملة

أتبني حبيبي في الخدبة

أثني — تحت الدالية — أنشج ..

والدالية جلي بالوان الصيف

أتبني حبيبي في الخدبة عن تعذبي

ونسيمك يا صيف لم تعد تحيل إلي نغم العصافير

ولم تعد تقفز على أسبجتك بلابلي العائسة

أكل ما فيك يا صيف ،

ومسى شيئاً من الفت والتمب والشجون

بيادري الثرية أطعمتها لأطيار الشحوب

المسافرة إلى بلاد الغرام »

مرحلة الصيف كما نرى عند الشاعر اسماعيل عامود مشبعة بالخلاص مطوقة ، ومدار تساؤلات فردية شتى ، يتغام فيها الذات الشخصية مع الصبوات الإنسانية إلى الراحة الدائمة في مستقر أبدي ، وتلك أمنية الإنسان منذ القدم دونها عقرات وتحديات لا تحصى . تقفز إليها الأحلام .. ولقد أغرم الشاعر بالنسكج — مركبته الوحيدة إلى الأمانة — وأخذ من عطائه حجباً لا بأس به . وإن دل هذا على شيء في حياة الشاعر . فأنه يدل بالتأكيد على هيئة الطفولة على مسار رحلته ، والواقع أن صورة تعطي القاريء هذا الانطباع . فالخيال جاثج إلى المطلق . يعتمد به الشاعر عن أرض الواقع ، وهذا الجنوح قد أغرق صورة الشعرية في المخالفة وذلك انفصام كامل عن مملأسة الشاعر والقاريء لما يجري حولها من أحداث وأحلام .. ولولا أسباب البلاغة التي حافظت على حدودها في هذه الصور لما تذوق قاريء ظلالها أو ارتحل مع الشاعر إلى الأجواء المقصودة :

« لقد مرت سحابة فوق غرغني

حجبت شمس الصباح عن نواذري

وهيمت : أين الخريف ؟

فانتفض صدري ، وعلت وجهي علامة يأس قاسية

وعنتت : ويحي

هل سينتهي صيف المحبوبة ؟

وتصبح عذابات الشاعر دامية بمقدار ما تجسد من هموم فردية يكادها في العالم السريع نحو اهداف الجماعة الانسانية ، واسماعيل لا يشارك في حمل عبء الصليب مع هذه الجماعة . خوفاً على غراندته . فاشكل عليه الهروب هذا الصليب . ومعاناة تنقله في رحلته الشعرية . وظل يرنو الى الخلاص من بعيد ، ويحدث في طريق الجلجلة كل يوم . فالتضحية في منظوره مطهر قروي . ولا يعيش قيمها الا في المستوى الذاتي . وتلك هوية الحالين دائماً :

« الزمان يسيرنا الى حيث لا ندري
انه يسرق منا اعذب الساعات واللحظات
بودي لو املك اعنته الجامحة
اذن . . لوقت به على مايك يا حياتي
لمسرته عند صيفك باشعاري
ولكن ما اضعفني يا الهي
تمنحنا الحب . . كي نتعذب
يحرقتنا الشوق بالعذوبة ،
ويغمرنا الفرح ليردنا الالم باودية الاوجاع
فلا شوق طال . ولا فرح بقي
وصيفنا الجبيل يستسلم
ينطوى على عتبات الشتاء
يجرنا الى العتمة صاغرين ..

ومهما جهدنا ان نحمل الصور ظلال الواقع . تلا جدوى من كل ما نسعى اليه . فالشاعر لا يهرب الشهادة بخيط فكري محدد . والغريب ان لاسماعيل المود ككاتب هموم الوطن والمواطنين ، ولكنه يهرب ويهرب قارئه معه من هذه الهموم على مركبة الحلم الى البعيد . ويكتفي في هذا التهريب ودق العاطفة المواره :

« رامبو
اتق من سباتك الابدي
وتعال معي

لنتق معا : بأرجلنا الخافيات
ساحات عاطلة الشعراء في القرن العشرين

ان الشاعر في رحلة الصيف يحلم ، ثم يحلم . ولقد عبه هذا الحلم طويلا في مسيرته الشعرية والوجودية حتى . . لقد جهل الآخرون مقايه بينهم ، وتبعوا في مقاصده من هذا التسكع الدائم ولو تحت المطر . انه يغني كل يوم حتى لا يسبح آهات الخروم . ويحلم كل ساعة حتى لا يرى آلام البائسين من حوله . غي الحلم والشعر رحلة لذيدة تغرقنا في امنية الانسان ساعلت قليلة :

« طيور احلامي
كم املقتها في الليل نحو دارك
فتمود الي وفي مناقيرها اغرودة حب يائسة
وعلى ريشها شحوب روح خرون

وفي عيونها دمعات اسى وتعلبة
فاحزن لحالها . واغص بهرارة
ثم امسح على ريشها برق وحنان
كي لا تعود اليك ثانية
ابنها البخيلة الجاحدة
يا من تحب بلا احلام »

فالعذاب الذي يكابهه الشاعر خلال رحلته . هو عدم فهم الآخرين لمقاصده ، من جهة ، والموازين العاطفة بين الناس من جهة اخرى . وكما تفضيه الزلى عندها تصح العملة الوحيدة في ميدان الحياة :

« في بلادي . . لكي تعيش
عليك ان تشترك في السباق
والا فانك التطار
في بقطة النجر الشاحب

والحزن ميمم بارز في صوره الشعرية على بدى الرحلة ، ويتوضح هذا الحزن في ألوان مختلفة وان لم يحمل صك الفاجعة في وجدان الشاعر ، بقدر ما يسل غريته الغائمة في نفسه من التناقضات المتصارعة في واقعه :

« عنقنا امر . . تكون الشمس في جنن الاق
بيننا شحوروي الغامق بغرد
باغنية بائسة
انه يناديني ولكن .. ؟

« وفي ظل هذا الخطاب :
« ايها الزائر . : انا اعطيك من افكاري
جمالا ورقة وصفاء وعطرا
وانت مقايا
تعطينني لماذا .. ؟
شحوبا وكآبة
ونشيجا وحزنا
لا كنت اذن ايتها المقايا »

فرحلة الصيف اذا عند اسماعيل عابود رحلة الحزن . والحلم . حلم ينتج به عن واقعه المضي . وحزن على اختراقات الانسان في الوجود . ان استمرار مطالبه الشعري ربع قرن من الزمن على عربة الحزن والحلم ، بعيدا عن هموم الواقع وازماته الخائفة دون التوقع في التكرار والترتابة او الاسف هو انتصار كبير بعد ذاته . اصف اليه ريلته في حساب الزمن للشكل المرسل من اشكال الشعر العربي الى جانب سليمان عواد ومحمد الماغوط في القطر العربي السوري والفرسان الثلاثة من مدينة السلمية وان اختلفت بدايات كل شاعر منهم ومداره الشعرى في عالم الادب .

عبد الكريم نندي

سلبية — سورية

السقوط في الليل

.. ونظلمين غالصباح
معطر الجناح
وانت ترغلين في ثيابك البيضاء
كفلة تحوطها الانداء
والعائش الذي القته في الطريق
عواصف الحنين والانسواق
يظل مغمض العينين
حالما بقطرة من ملك اللحن
وهيمسة من شعرك الرقراق

اراك ساعة الظهيرة
غمامة تحوطني بالظل والامان
ونرتوي احلامنا
وانت يا اميرة
اراك ترابين صدع ذلك الجبان
من حبه القديم ..
من احلامه السراب
وتزعين في ربيعك اليباب
الف حلة
تري كم يستمر ذلك الامان
في احضائك المظلة

⊙

اراك في المساء تخرجين من يدي
وتظلمين من اصابعي
يا قلبي البيضاء ..
ابن تذهبين ؟
والخاطفون ...
انوارهم منيرة
اموالهم كثيرة
عيونهم ضريرة
لا يبصرون العائش المسكين
في الظلام
احلامه كثيرة
كانها القتل
ايديهم خبيرة
وانت يا اميرة
وانت يا اميرتي الغريرة
لم تصيدي للسليل
اراك تسقطين
غرائشة محروقة في الليل
اراك تسقطين
والليل مستمر
والصبح لا يبين

حسين علي محمد

⊙

الزقازيق - مصر

مكتبة الادب



ديوجين الحكيم

مسرحة شعيرة - تأليف عدنان مردم بك - ١٤٠ صفحة
مشتورات مؤسسة الرسالة في بيروت

بعد ثلاثة دواوين ، ونمائي مسرحيات شعيرة يطل علينا الشاعر عدنان مردم بك بمسرحية الخامسة «ديوجين الحكيم» التي اسوحوها من حياة الحكيم اليوناني ديوجين «الذي ظل يبيت من الرجل» (وقيل من الحقيقة) جاهدا طوال عمره في وضع الفهار ، وهو يحمل مقارسة ، ولم يوفق في العثور عليه .

ولكي لا يكون موضوع المسرحية غريبا على القارئ ، فقد اثبت المؤلف في صحتها الاثرى الدافع الذي جده الى اختيار هذا الموضوع ، وحدث بالتفصيل عن الحكيم ديوجين الذي يقال انه كان رجلا غريب الاطوار ، حتى رماء بعض الناس بالهوس والجنون ، ويضم الكتاب الفراني لوقيانوس المسياسلي في كتابه «مسيرات الاوت» الذي يعتبر اول رحلة خيالية الى العالم الآخر في تاريخ الادب العالمي (١) .

كان ديوجين ينتمي الى زمرة الحكماء الكتيبيين الذين عرفوا بالزهد والتفلسف الشديد ، فقد عاش حياته لا يملك الا عصا غليظة ، وملكه غشقة يستريح بها جسمه ، وقد غشي بشرته بجلد الماء يثقل شافه جوده طلاء شرب الماء بكتفه من النهر ، حكم قدحه قائلا : «ان الاخلاق الشدة معرفة بني بالاشياء» فضلى عنه فوراً .

كل ما وصفنا عن ديوجين لا يبعدى بعض المباحكات الدخيلة التي جرت بينه وبين الكليسيوسين اطلاقون وارسطو ، وكلها نقل على سرعة دهبته ، ولكنه اللامعة . الا انه لا يمكن ان يعد في جبهة الغلامسة اليونانيين ، لان اراده في الحياة لم تنمض بعض الحكم المختارة التي لا ترقى الى مستوى الفلسفة ، واغرب ما في حياته قصة موته ، إذ ابتغى عن النفس حتى اسلم الروح ، ولهذا السبب كان موضع تقدير الفيلسوف الالاني سوبنهور الذي اعجب بطريقة موته ، واعتبرها اعظم انتصار على الحياة !

تعدى الحكيم ديوجين القاسي بلا رفق ، وراح يلهمه لتكليفهم على حياة ناهية ، قصيرة ، يملؤها الزيف والفضي ، ولذلك حمل مقارسة الحساد في رابعة الفهار ، وراح يتجول في شوارع اثينا ، مقلدا سلكه احد من السبب اجاب : «انني ابحت من الرجل !» - لم يعد يتدخل بريمله ، ويفكر في امور القاسي والمجتمع ، فكان بهذا مسلحا اجناديا اشبه ما يكون بليي العلاء المعري .

اما لماذا اختار الشاعر عدنان مردم بك هذه الحياة الحرة ليجعلها موضوعا لمسرحيته ، فهو سؤال كثيرا ما طرح عليه ، واجاب عنه بقوله :

(١) لوقيانوس المسياسلي : (١٢٥ - ١٩٢) ولد في سيمساط على نهر الفرات (سورية) وكان خطيبا ومعلوما يوسفيا ، له عدة مؤلفات اهمها «مسيرات الاوت» الذي ترجمه الاستاذ القاسي سعد غالي الى اللغة العربية من الاصل اليوناني ، وتشرمه الحصة الدولة لترجمة الروائع عام ١٩٦٧ .

«فلت كلمة ديوجين ترون في اني رحبا

من الزمن حتى رجعت الى تاريخ اثينا السياسي والاقتصادي زمن ديوجين والذات ، فقرات العجب عن صناديق الضمير والاضطراب الخلقي ، رغم تسليح شعب اثينا الفكري . فقد انقسم القاسي الى شعب شتى ، منهم من يدعو الى انك حبيب المكتوني ، عدو شعب اثينا اللذود ، ومنهم من هو حائر في ابره ، يتفلسف في ظلمة الجدل القديم ، والقليل من ادرك الخطر ، وكان ان هاجم حبيب المكتوني بلاد اليونان ودخلها دون كبير مقاومة ، بل انشأ شعبا رجال السياسة بالمال .

لم تحرك اثينا ساقها طوال حياة حبيب المكتوني ، واستكانت على الضمير ، سوى افراد قلّة - كالطبيب ديموسين - تترعوا خارج الوطن ، وعاشوا مشردين .

شهد ديوجين تلك المأساة الاخلاقية التي نشأت في نفوس رجال الفكر والسياسة ، وهاله هذا الفروني في مطاوي المساء ، فالتفت على قومه رجولتهم ، وراح يتقدمهم بقوله لكل من يسأله عن حيله الفاتوس في وضع الفهار ، بقه يبيت من الرجل .

يخيل لي ان الاستاذ عدنان مردم بك اراد في مسرحيته هذه ان يعيد بناء القومس المخترقية التي فقدت رجولتها ، كما فقدتها ايام ديوجين ، وراح يفتش عنها في وضع الفهار بطريقة لا تنطو من السبورية والتحكم والاستنزاف ، وان يشير الى الظفورة التي تكن في استسلام الشعب الى الفساد والترب والامبالاة ، إذ لا مائدة من الفلسفة لتسحب باع التسير ، وداس الاخلاق ، ولا هوى من البحث في الجينيفريك في امة مات وجدتها ، وامسكت للمجون ، ولذلك اهتمق ديوجين امثال هؤلاء الناس الذين الهامهم الفرف من الضمير بوطنهم المظلوب ، فلا يغضبون قسما صليح في ولا يهتظون عن مجد ضالع :

وانسب في بيئته القريب
سمن الفصال ولم يسطر
وراء السبلالة لي السلام
كقصة اهل القوميس
دمع الذي يمدد القوم
مكان اصبع من بئس

لم يشأ الشاعر عدنان مردم بك ان يمر بهذا الكدرس الفاتريخي الاتيم دون ان يستعيد من عبرته ، بل احب ان يلق عنه وقعة مستائية لمستخلص المصلة ، لذلك لان المصلة التي يستعيدا الانسان من الفاتريخ تكون اوقع في النفس ، والرمز احقيا ابلغ من الافصاح .

نقع المسرحية الشعرية في اربعة فصول وستة عشر مشهدا يطول او يقصر حسب الفترة التي يعالجها فيه ، واختر لها يحرار قصيرا هو مجزؤ الكليل ، دون ان يلزم منها قصيدة واحدة ، فكان كلما انتقل من مقطع لآخر ، اختار قصيدة جديدة ، فليعد بذلك عنها صفه الرتابة والابلال التي ترائق القاصد الطويلة ذات القافية الواحدة مائة . كما نشر فيها الكثير من الحكم ، وهذا امر طبيعي في مسرحية جرت اعدادها على ارضي اليونان ، بل الفلسفة والحكمة ، ناهيك عن ان يطأها الرئيس حكيم ، خير الحياة ، وحسنته التجارب ، تقول الشاعر :

ان مات في الشعب الضمير
ولم يتركه قلم
ولسبب خطيب مستطر
مبتداء من صفر
وقوله :
تسعى الحبيبة من حرا
ح الفكر مسا لا يبدل

ونشير الى ان الحضارة اذا بلغت اوجها ، لا يد ان يدركها الهرم ، وضمناها الشيفوخة ، الى ان يهلكها الموت ، بثلا في ذلك مثل الكنان

الحي ، وهي فكرة أشار إليها بعض المؤرخين ، كأمين خلدون وآرنولد توينبي :

ان الحضارة كالكلاب تشبع من بعد التثريب
وسال كل حضارة بما كان قدر من خراب

ويرى انه لا نفع من الحضارة اذا لم ترتبط بالافلاك السايية والفضيلة ، وان السعادة في الفضيلة ، والموت في الرذيلة :

بما كان نفع حضارة ان جردت عنها الفضيلة
ان السعادة في الفضيلة لة ، والميتة في الرذيلة

وبعد فالمسرحية بالاجمال ذات حكمة جيدة ، واسلوب طلي عذب ، يحس القاري وهو يتالعها بنسائل الحوادث واتساعها . اما القوالي فكانت تتلوع من مقطع لآخر ، منسجمة مع المعنى ، لا عسر فيها ولا تكلف ، اجمعت النص من الرماية والقسطية ، وظلمت عليه نوبا غسلسا من الحركة والحياة ، والحوار مقتصد لا يطول ولا يقصر ، والموسيقى واضحة في الالفاظ الغنائية ، والقوالي الطيبة الفتاة ، وكل هذا يؤكد لنا ان الشعر يمكن ان يستخدم اداة للسرحد كالنثر ، اذا كان الشاعر المسرحي موهوبا .

نحشوق

عيسى خنوح

امسواج

ديوان شعر : عبد الرحيم الحصني - (؟) صفحة - منشورات

وزارة الثقافة والارشاد القومي في دمشق

اصدرت وزارة الثقافة والارشاد القومي في دمشق اول ديوان للشاعر الاسنان عبد الرحيم الحصني ، وعنوانه « امسواج » . واستل الشاعر ديوانه بالاهداء التالي :

« الى الحياة بكل ما فيها من الالم وآمال

الى الانسان بكل ما فيه من عوالم

الى امي التي نخط سفر خلودها رغم كل التحديات .

الى كل موقف نبيل

الى كل انسانية حب

الى كل خلقة قلب

اهدي ديواني الاول » .

والذي يقرأ الديوان ، وهو يستلح المظلمة الجادة من دفنه الى دفنه ، ويستغرق نوح ذلك انتقاء مخبرات منه وحفظها عن ظهر قلب ، يجد الشاعر وقد احاط بكل ما اهدى ، وبكل ما اهدى ديوانه اليه : فيه الالم والحياة وآمالها ، فيه الانسان وعوالمه الواسعة ، فيه الامة العربية بنولها وطوبوها الى الحضارة والتقدم ، وفيه تسجيل مواقف نبيلة وفيه انسانيات بشرقة للحب ، وفيه خفايا قلب مضطرب رغم ما علا الراس من شيب .

والانطباع الاول الذي يخلفه الديوان هو ان صاحبه شاعر مطبوع ، يتدفق شعره من قلبه كما يتدفق الماء من ينبوع ، لقد ملك عليه الشعر كل حواسه ، فهو يعيش له ، بل لهله يعيش له وحده ..

لقد لكرني حبه للشعر وتقديسه له واستغراقه فيه بقول الشاعر الكثير رسول حمزة « داغستان بلدي » :

ايها الشعر

انا - لولاك - بنم .

لولاك كان العالم مغارة من الظلمات .

لا تعرف ظفرة شمس

او سماء دون نجم يلعب

او حيا لا يعرف حرارة قملة .

لولاك كان العالم بحرا لا زرقته فيه ،

ولا بطوبة خالدة ، ولا حركات لاهائية ،

او بسننلا لا ازهر فيه ولا اغشباب ،

ولا اغنيات يبلل ولا نغمة مرصور .

لولاك لتكنت الاشجار عارية سودا

لا شيء غير ضباب نشرين ، لا صيف ولا شتاء ولا ربيع .

لكن الانسان وحشا وشقيا

والاغنية ... ولكن الاغنية لا يمكن ان تكون .

مثل هذا الشعور نجد في ديوان عبد الرحيم ، ان الشعر هو الهواء الذي ينتفسه ، والدم الذي يجري في عروقه ، والنور الذي ترى به عيانه ، والخبرة التي تتلخص بها شفافه .

وهذا الحب الذي يكنه للشعر حب صولي مجرد ، انه يعلم ثم يسجل الالم والشعراء وحرمانهم ويؤسهم وشقايمهم ، ولكنه مصر على تحيل هذه الالام لانه يعرف قيمة الشعر وما يزين به الدنيا من جمال ، وما يقدمه الى الفارس من عزيزة وسلوان .

قال :

واين من لثرف التجوى مزيفها واين من لبن قلب الهائم الحجر
الطيب ، والشعر ، في جاني مدهما كلاهما ، في غواي ، النائر السحر
أروى الى المجبول اسائه مالا فعلت باهل الشعر يا ...
لنا الهادية دون الناسي تنشرها ومن معابدنا الآيات والصور
ما في الجابر ... الا دوننا عين ما في الضمائل ... الا دوننا عطر
لبسلك الناسي احسانا اساهم وتغسر الذنوب نطقنا وتغسر
لا الشمس ، لولا وسيم من منارنا لاحت ، ولا هل لولا ليلنا القمر
ويكبر عبد الرحيم يغسل الشعر على الشعر على الشعر ثم يكثر ما يلاونه
من الالم يستريح منها الفاتلون ، فلا يشعرون بها :

يا شعر لولاك ما رقت لنا مهج ولا استيقنا لعدال ، ولودام
الفاتلون اسراحو في جهالتهم ونحن نغمد الآسا بآلام

ولعل اروع الآيات التي ينكر فيها الالم الشاعر وحرمانه ، ابياته في رثاء الشاعر المرحوم بدر الدين الحامد ، واثارنه الى الحملة التي استهدف لها الشاعر في قصيدة له غنائية مشهورة ، قال عبد الرحيم :

وهل اعيش على ارض سكبت لها عصارة القلب حبا عيشة الغريا ؟
نجاهل القوم شكوانا ، وما علموا ان النهي والقدى في شعرنا اصطحبا
مسلا يقولون للاجبال ان سلطنا عنا ؟ وهل يحلف التاريخ ما كتبنا ؟
من نحن ؟ نحن هدايا الله زودنا من معجزات المعاني خير ما وهبا
يبد راسي العلى من غيز قافية ويطنني وجلا من شاعر غضبا
ما لي اري الناسي حولي لا حراك بهم خسى كان غرابسا فوقهم نجسا
مالا علينا اذا حبست جواننا وجدا لقدد زمان طيب ذهابا
اتحرم (الة) - والذ لمصنبا ... حتى على (الة) لم نسل من الرقبا

ومن هذا الحب العميق للشعر ، والحنان الضافي على الشعراء والادباء ، ورجال الادب والتم على العموم - نتبع سجيبة رائعة في قلب الشاعر ، كما تشيع الشجرة المسابقة في الوادي الخصيب ، انها سجيبة الوفاء الكامل للانصداف من الشعراء والكتاب والفاضلين الذين ملأوا ... دون قبور ... مالوا الدنيا صداها ونفعا ، ثم لم يلقوا من الناس

والمجتمع إلا الاعراض والآذى ، ومن هنا كانت قصائد الرثاء كثيرة في النيسوان .

إن الوفاء هو أهم ما يميز الشاعر بعد حبه للشعر ، وهذه قائمة بإسماء رجال القلم والريشة الذين غاض قلب الشاعر بالحسرة عليهم توقف يترنهم ويدعو المجتمع إلى تقديرهم وإلى التخفيف من مصائبهم في أثناء حياتهم ، لا إلى الكفافة بتكريهم بعد وفاتهم ، ونجد في هذه القائمة بعض الشعراء العرب الكبار الذين اشترك في حفلات تكريمهم ومهرجاناتهم :

- ١ - أبو فراس الحمداني . ٢ - الموسيقار الرسام سليم حمادي .
- ٣ - بدر الدين الحايك . ٤ - سامي الكيالي . ٥ - سامي الدخان .
- ٦ - محمد اقبال . ٧ - وصفي قرنطلي . ٨ - نظير زيتون .

وهو حين يذكر الوفاء الذي دفعه إلى رثاء الشعراء والأدباء ينهم الخيبة ويدينها ويرأفها لأنها لا ينفتر . قال :

ذنب الخيانة ليس يغفر ما انتوى في الحادثات ، وكل ذنب يغفر ورغم كل هذه المراتي فهو يرى حيناً أنه لم يوف أترابه وأحابيه حقوقهم عليه :

رثا من الارتباب سار . وليني ونيت بعض محبتي الارتبابا
وهو يسأل القراب حيناً هل قضى واجبه :
مهد الهوى . تلك أباني أنزلها على ثراك ، فهل وفيت قريني ؟
وهو يذكر قايه الولي حيناً :

لك الخلود على مر العصور ، ولي قلب الولي لأبي طيب لخصا
وفي هذه المراتي جميعاً نجد الشاعر الشافعي ، والأشاعر الصليبي ، والدمعة الوفية ، والحسرة اللاهية ، والقلب الكبير .
قال في رثاء وصفي قرنطلي الشاعر الكبير الذي حمل الآلام المبرحة سنين طويلة لم يكد يذكرها فيها أحد :

أخا القصيد حملت الداء برنصيا وثقت للخوف : هذا دريك الأعر
فأعصف بما شئت ، أنفوني ما حملت من كبرياء السماء التجم الأعر
وما أنسفت لأجل الداء من وهن إن الأية إذا ما استهفوا صبروا
لكلما ألوحى هذ الجسم غارتجت بينك ، واتساب في أعصابك الحذر

رحم الله (وصفي القرنطلي) فقد حمل من الآلام ما لا تحمله الجبال .
وعبد الرحيم الحصري ، الشاعر الولي ، وطني عربي معتدل ، ويظهر حبه لبلاده في تصادده الوطنية ، وهي غير قليلة ، أنه يريد الوحدة العربية ، ويذكر فلسطين ، ثم لا يميل الحديث عنها ، والدعوة إلى انقلاها ، ويظهر حبه لبلاده أيضاً في ذكره للندن العربية ، وخاصة في سورية ، فحب الوطن ليس من الضروري أن يكون صراخاً ، ولكنه يبدو أيضاً (يوصف جمال الوطن ، وانهاره وغاباته وآثاره ، فالتقسيم العربية والمجد الأقصى وكثيرة المجد ، وحب الشهاد ومجد الصداقين ، وحياة ونواحيها ، وخصب وعاصيها ومبيلها ، وبيئها وبعدها ، وبيروت وغوانها ، وديش وغوشها ، كلها ترد في شعره مراراً ، دعوة إلى التبع بالجمال ، وإلى الفخر بالمجد السالف ، أنه حب يتغلغل

في نفسه ، فيعبر عنه في بساطة وعفوية :

مروحي على (الجماسي) ما زال عطرها يماضي يوح (الفوطيين) ويضطرب
أصبرا واراض (القدس) راحت بظلمها بتأبيا لفلو الشر فهو وتلمب
والف (مسيح) عند كل نية يلبذي الدليل الولد يسا شرق
شيءا ! دنت الأوغاد تربشا ونحن لما نزل نستفر الخطبا
رصاصنا الشعر ، والأفوال عدنا وكيف نسلم إن لم نحمل القضا
(لبنان) يا ترف الجبال تركني لا اشتي من غير مالك مهلا
رويتني من راحتك فأعشيت نفسي لديك ، وزرع وجدي أسلا
أنا من نسيك ، ما نعت بنسمة إلا وعاد لسي الشباب واقبلا
ببني وينك عهد حب خالد سيبئل في غلد الحودة أولا

والحصري في أمواجه شاعر غزل رقيق ، يحب الجبال ، ويحب فيه ، رضع ليلته صفرا ، وررع في رياضه يافعا ، وررع في محرابه كثيرا . وتمس وأنت تغرا قصاده في الغزل يصنع حبه للجبال ، قد تبدل أسماء أحيائه ، ولكن الجبال هو الذي يهواه في هؤلاء الأحياء ، لا الأسماء ، ولا الأشخاص ، فكان للحصن مثالا في قلبه ، ثم تأتي أمة أو سلمى أو ليلى ، أو السابحة في البحر ، ليكون مثالا أو نسفا من هذا المثال .

قال في سبحة :

بنت السواحل ! ما أهلاك وأهية إذا حديث ... وما انداك انعميا
مضوت في شبابا كنت اتجيبه وكنت احببه قد صار احلاما
بالربيع ... لقد عابت أترابه نشوى وصفك سكرانا وبساما

لقد أحيا الحب الجديد قلب الشاعر ، وأهم ناره ، وكان يظن أن المسنين انطفأت نيرانه ، وقال في (غانغو) :

أهل الشعر بالربيع ، أشعب أهل الشعر بالربيع ، وروهب
أهل الشعر بالدلال ، بجنس متعصب الذهب ، بالفتاة يروهب
أهل الشعر بالفراسة عطشى تجني لمة الشفاء ، وشهب
أهل الشعر بالصباح ، بوجه لسن الورد وجنيسه ، وفضب

أسلوب الشاعر : أرجحت الحديث عن أسلوب الشاعر إلى آخر البحث كيما يجد القارئ نماذج من شعره . إن الحصري شاعر يحب التراث الشعري العربي ، ويدافع عنه ، ويدعو إلى إغتناله وإيمانه ، ويحرص على أوزانه وقوافيه ، وربما حاجم من حين إلى حين أولئك الذين يخرجون عليه ، ويدعون إلى لون من الشعر لا يوافق عليه ، ولا يقره . ولكن حب هذا التراث لا يحول بينه وبين انتقاء الكلمة المناسبة ، والمعنى الرقيق ، والصورة الشعرية الزاكية ، أنه من مدرسة « الشعر العربي المصفي » مدرسة بدوي الجبل ووصفي القرنطلي وبشارة الخوري ، وكل هؤلاء الشعراء الكبار الذين أنبأوا بالشعر العربي القديم ، ومقدروه على التعبير ، ضمن أشكاله ، عن خلجات النفس ، ومواقف القلب ، ونوازع القصر ، وشطحات العمل ، ثم حاولوا بعد ذلك وغفوا في محاولتهم إلى مد هذا الشعر بنماذج دافقة من الألوان والصور والامتياز والمعانف والغرر ، فكانهم كانوا مبرزا ثانيا وحياة جديدة في السلسلة الأدبية والعمود الثريدة للشعر العربي .

وإذا كان لنا أن نلاحظ شيئا على هذا الديوان فانا نرجو أن يستطيع



الاديب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بلؤها شهر
يناير ، كانون الثاني

تدفع فية الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ٢٥ ليرة لبنانية

•

للؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

•

في الخارج العربي : ٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
١٠٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

سائر الاقطار : ٢٥ دولارا بالبريد العادي
٥٠ دولارا بالبريد الجوي

الاشتراك الانصاف

في لبنان وسورية : ٥٠ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ١٠٠ ل.ل. او ٥٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

الادارة : ٢٢٣٨١٩
الترن : ٢٢٥١٣٩

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ١١٨٧٨
بيروت - لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البحر اديب

عبد الرحيم في دواوينه القادمة الكثيرة - ان شاء الله - ان ينشئ طريقا
خاصة به ، فنقول كليا قرأنا شعره : هذا شعر عبد الرحيم ، شعره
وهده .

تقنيا للشاعر الصديق الرفيق ، والف مرحبا بياولاجه .

عبد المعين الملوحي

دمشق

غوض قسطة - حياته وشعره

تأليف حسين علي مجد - (٢) صفحة - طبعة (٢)

ان سلوكية الشاعر والمفكر حسين علي مجد الطاهرة والمختصرة في كتاباته
عن الاقل لم تعرف بعد او لم تأخذ حقها من الدراسة او تعنى في روايات
الاهمال والصمت وهو يعد في شرح الشباب ونبوة الحماسة ، طبيعة
انسانية نادرة الوجود في حياتنا الثقافية المشغولة وعلى جميع الاسعد
اعلاميا ونفاديا باناس عربوا كثيرا ، وباقلام كتبت عنها الاقلام الكبيرة
والصغيرة ، المواجية والمناهية ، بغية الادب وغير الادب ؟

قلت ان هذه السلوكية طبيعة انسانية ومنطقية في نفس حسين
المفتحة والمشرقة والتي نفري الاخرين على التفتح والبطاء ، غفوض
غبار الحياة الثقافية عرشا وطولا .

وها هو حسين علي مجد يكتب عن انسان ولد بعيدا عن اضاء
القاهرة في قرية من قرى الفخيلة ولم يتمكن من متابعة الدراسة والاتصال
بوسائل الاعلام الا في سنواته المتأخرة رغم انه من مواليد ١٩١٨ ويقيم
مدينتنا حسين المستكن بالحب بتعريفنا على حياته وشعره ويقيم للمريجة
انسانا عصابيا يغرب من خلال كتابه هذا مثلا تطبيقيا للتكوين في الانشاء .

الشئيل كتاب غوض قسطة على مقدمة جاء فيها : « اني اقدم هذا
الكتاب عن شاعر في الظل عسى ان يلاخذ بيد هذا الكتيب ويضمه في
دائرة الضوء وسيعرف القراء في هذا الشاعر المألوة صادقة في بحر الاصداق
الذي يملئ حياتنا الادبية » .

وبطلنا على سيرة شاعر من نشأته وبيئته ومناخ ثقافته وانصاته
بالادباء والمجلات والاذاعة منذ عام ١٩٦٦ ، ثم يتحدث عن اغراض شعره
ويبدى اراده في سبائك حديثه ، ويطلق اهلكتا قيمة مما يدفع للكتاب الى
برنية الموضوعية والتقت وأورد ثلاث ملاحظات من اصل ست ابداءها
المؤلف على شعره الوطني ويمكن ان نطلقها على جميع شعره :

- ١ - معارضة الشعراء القدمين والمعاصرين واقباس معتابهم .
- ٢ - نثار الشعر بالقرآن الكريم في بعض صوره .
- ٣ - يهيب بعض هذه القصائد شيئا هيا : الخطافية والتقريبية
التي تصل احيانا الى حد القذرية .

وقد علل ذلك الضعف لسببين :

- ١ - انصراف الشاعر مدة طويلة عن الحياة الادبية .
- ٢ - اكتشافه يسماح ما يتردد في الذاكرة من الانثى » .

وسوف اشرك القارئ جولي مع المؤلف والشاعر غوض . في
الفصل الاول تلمح عنوان « في حباب الايمان » ويستعرض القائد شعره
الديني .

انتقد بعض آيات من قصيدته الاولى :

الهي نحو يارك قد سمينا وجلسا في رهابك واحتينا

الهي كل شيء فيك يحلو صبرنا أم جزعنا أم قضينا
الهي انت تعلم ما جئنا نعموا ربنا عما جئنا

وفي نصل « شاعر العاطفة والوجدان » يقول المؤلف عن تجربته هذه
ما يلي : تجربة الشاعر عوض قشقه مع شعر العاطفة والوجدان تجربة
بشرة فهو لم يكتب هذه القصائد إلا بعد أن نيف على الخمسين وهي
قصائد جيدة .

يقول في قصيدة الى محبوبتي :

محبوبي والعيد حين أراك وأجسل ساعات الزمان لك
حيناً يداعب مهجتي طيف الذي نغاري السعادة حينئذ لك
أني محبك ما حيث ولينتي كل صبح ما حيث أراك

ولا يخلو الرجل من شعر الحكمة والنابل :

عش في الحقيقة واتسد ودع الخرافة والخيال
خذ من حياتك هزبة تفنك عن ذل السؤال
إن ساء حالك فانتظر حلالاً سيأتي بعد حال

وفي قصيدته (نابلات) شاعرية مفرغة يقول فيها :

مس الهوى قلبسي الرقيق فرحتي في سميت عبيق

وبعد أن يعدد ما وجد في الكون من شمس مشرق ، وطير شادية ،
وماء يتسلسل وزرع يزهر نسا :

حتى نجوم الليل في قلب النظم لها يرين
الصمت خير واقتابل ملوة القلب الرقيق
لو أدرك الإنسان سحر الكون ما شل الطريق !

ويختتم فصول شعره بباب الخاتي من قصيدة يرثي أياه يقول :

رحميا كنت يا أبني عطوما ولولا ذلك يا ظيب الطراس
لداة هورني لسم الق خلا يأنسلي - وأن كسب الاناس
مني افالك القى الانس بيري نفس سألها منك التماس

وبعد ذلك يختتم الكتاب بقول النقاد عن عوض قشقه للكتور
عبد عبد العزيز والشاعر فؤاد بدوي والشاعر المرحوم عبدالله شمس الدين
الذي قال عن القشقه : « احبي نيك عصابتك كما اهنتك بوهيتك
القياسية الاصيلية » وينوري من سورية ومن حلب الادباء احبي القائد
الشاعر حسين والشاعر قشقه والف نجة .

حلب

مصطفى النجار

١ - نافذة للبراق

شعر ابيجد محمد سعيد - ٦٦ صفحة - وزارة الاعلام العراقية
دار الحرية للطباعة ببغداد

في سلسلة كتابات جديدة ظهرت اضمحلت جيدة تنشر بالخير في عالم الشعر
سفر الفراء بها في هذه السطور .. من هذه الاصدارات - نافذة
للبراق - للشاعر ابيجد محمد سعيد .. تتألف المجموعة من ست عشرة
قصيدة موزعة على ٦٦ صفحة .

القصائد صادرة عن عفوية وابها ينهض دليلا على حب الانسان

والترجمة بتفسيره وخفه الكامل في الحياة الحرة الكريمة يقول :

٥

يا زهرة عباد الشمس

خذي

يا زهرة عباد الشمس

المفوحة كالقلب العربي

الزروعة كالتراب

القصيدة عند ابيجد محمد سعيد حسان جوع يركض على صفحات عديدة
في اطار مفتوح فالسلطان الواحد يتكون من كلمتين او ثلاث ولو اختصرنا
هذه المجموعة لما نمت نصف حجمها .. بعض الخواطر تحتاج الى صيغة
جديدة اسأل : ذاكرتي الزخوة وعصافير الرصاص أرجو له نجاحات
مستمرة .

٢ - وردة لعيون البعثة ليلى

شعر غزاي درع الطائي - ١١٤ صفحة - وزارة الاعلام العراقية
دار الحرية للطباعة ببغداد

يمتلك الشاعر غزاي درع الطائي احساسا شعريا جيدا وقابلية نظار في
تدويره القصيدة تدويرا يمل على نفس طويل وخيال بشجون بالانكار
والصور وهذه ظاهرة لا نلتقيها في غيره من الشعراء الشباب الذين
يستعملون القدر .

تألف المجموعة من ثمان عشرة قصيدة موزعة على ١١٤ صفحة هذا
مقطع من قصيدته - نسرات اولية لكلمة امرأة :

أدخني وجبي في المشيب وابكي كالمرسان المزهوين ، غل بنات
الهي حرون بقرى الابرورد الحزون ، غل بنات الهي حرون بقرى
لا وحيك ...

وفي قصيدته - منتحمة في عودة سعيد بن جبر - يقول :

الليل نحا به الارض

والارض يجر بها السيف

والسيف يجر به وجه « سعيد بن جبر » .

وسعيد بن جبر نثر معروف نهض من أجل الفراء قتله الحجاج
بن يوسف القتيبي بعد فشل ثورة ابن الاشعث وقبره موجود على مقربة
مدينة الهي في محافظة واسط بالعراق .

٣ - وليلين صحوة اخرى

شعر زهور نكسن - ٨٠ صفحة - وزارة الاعلام العراقية
دار الحرية للطباعة ببغداد

صوت نسوي يترجع على خيلة حريية ويهيم في اجواء ريفية مشوشة
تفراتة تمضي ونعود على انوار الشمس ونرسم آمالا على مطر الحواسم
التي تملأ الانهار .. تتكون المجموعة من عشر قصائد تتنوع فيها وهي
تقول :

كلما سر رجع العدى

واستراحت الكف على صفحة النهر

من زروق مسكن

حقنا .. والبحر الجنوبي ينشال

من معول المعادين

ان قصائد الشاعرة موزعة على الصفحات ثمان قصائد نافذة للبراق .

كأنم محمد حسين

الكوت - العراق